



اعلیٰ

قصائِدی

تذاریقانی



اَخْلَى قِصَائِي

حقوق الملكية الفنية محفوظة

الطبعة الثامنة عشرة

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩

منشورات نزار فتبايني

بيروت - لبنان

ص ب ٦٢٥٠

نزار قباني

أهلي قصائدي

مترجم

هذه المختارات

أحلى قصائدي !

هل هذا ممكنٌ؟ وهل يستطيعُ شاعرٌ على وجه الأرض أن يقرّر
بمثل هذه السهولة والرعونة ، ما هي أحلى قصائده .

وإذا كانت القصائد التي اخترتها هي أحلى القصائد من وجهة نظري ،

فهل هي كذلك بالنسبة للآخرين؟

إنّ ذوقَ الشاعر ، على أهميته ، يبقى ذوقه الخاص ، وإرتباطه
الشخصي ببعض قصائده ، والظروف التاريخية والنفسية والإنسانية
التي كتب تحت تأثيرها هذه القصائد ، تلعبُ دوراً رئيسياً في لعبة
الإختيار .

إنَّ ورائي ثلاثين عاماً من التجارب الشعرية ، وأمامي عشرون كتاباً هي تذكرةٌ ميلادي ، وجوازُ سفري ، وعمري كلُّه .
فكيف أستطيعُ أن ألتقطَ من هذا البحر ، ثلاثين صدفةً أقول عنها
إنَّها البحر ..

وكيف أسمح لنفسي أن ألتقطَ من الشمس ثلاثين شعاعاً وأدَّعي أنني
سرقْتُ النارَ ؟ ..

إنَّ كلَّ عملية اختيار بحدِّ ذاتها مرعبة . وعمليةُ اختيار الشعر من
كتبه هي ذروةُ الرعب ..

وإذا كان لا يستحيلُ على الإنسان أن يختار أثوابه ، وعُطُورَه ،
وأثاثَ بيته ، ولونَ ستائره ، فمن المستحيل عليه أن يختار انفعالاته ..

الشعرُ هو أرضُ الإنفعال .

هو وطنُ الأشياءِ المنقلبة دائماً على نفسها ، والأشكالِ الهاربةِ من شكلها .

وعلى هذه الأرضِ الحُبلى بالدَهْشَة والمفاجآت ، لا ثباتَ لشيء ، ولا يقينَ لشيء ..

فكيف يختارُ الشاعرُ حصانه بين ألوف الخيول المتسابقة على حَدَقَتِي عَيْنِهِ؟

*

الإختيارُ كان دائماً يعذبني . والتمييزُ بين هذه القصيدة وتلك ، كان دائماً وَجَعِي الأكبر .

وبالرغم من طُولِ صحبتي للشعر ، وسكناي معه وفيه ، فإنني كلُّما دعيتُ إلى أمسية شعرية ، أقف أمام أوراقي خائفاً ومتردداً كالطفل عشية الإمتحان .

إن فكرة إصدار مختارات شعرية لي فكرة قديمة . ولكنني كنت دائماً أؤجلها وأخشأها، كما يخشى المتهم قرار المحكمة .

إلا أن مواجهة اليومىة للجمهور ، ووقوفى أمامه فاعلاً ومُنْفَعِلاً ، وردود الفعل المختلفة التى كانت تُواجهُ بها قصائدى ، أكسبني بعض الخبرة فى معرفة القصائد - المفاتيح فى شعري . وأعني بالقصائد - المفاتيح ، تلك القصائد التى تركت وراءها أسئلة .. وحرائق .. وناراً .. ودخاناً .

*

واليوم ، وقد قررتُ أن أدخلَ قاعة المحاكمة ، أودُّ أن أهمس فى آذان المُحَلِّفِينَ ، أنَّ اختيار بضعة أشجار من غابة ، لا يمثل حقيقة الغابة ، وأنَّ قَطْفَ ثلاثين زهرة ، ووضْعَها فى آنية .. فيه ظلم كبير للبيستان ..

نزار نيسان ١٩٧١

إِخْتَارِي

إِلَيَّ خَيْرُكَ .. فَاخْتَارِي
مَا بَيْنَ الْمَوْتِ عَلَى صَدْرِي ..
أَوْ فَوْقَ دَفَاتِرِ أَشْعَارِي ..
إِخْتَارِي الْحُبَّ .. أَوْ اللَّاحِبَّ
فَلَجُبْنُ أَنْ لَا تَخْتَارِي ..
لَا تَوْجِدُ مِنْطَقَةَ وَسْطَى
مَا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ..

*

إِرمي أوراقي كاملةً ..
وسأرضى عن أيِّ قرَّارٍ ..
قولي . إنْفَعلي . إنْفَجري
لا تقفي مثلَ المِسمارِ ..
لا يمكنُ أنْ أبقى أبداً
كالقشَّة تحت الأمطارِ
إِختاري قدراً بين اثنينِ
وما أعنفها أقداري ..

*

مُرْهَقَةٌ أنتِ .. وخائفةٌ
وطويلٌ جداً .. مشواري
غُوصي في البحرِ .. أو ابتعدي
لا بَحْرٌ من غيرِ دُوارٍ ..
الحُبُّ .. مُواجهَةٌ كبرى
إِبْحارٌ ضدَّ التَّيارِ
صَلْبٌ .. وَعَذَابٌ .. ودُموعٌ
ورحيلٌ بينَ الأقمارِ ..

*

يَقْتُلُنِي جُبْنُكَ .. يَا امْرَأَةً
تَتَسَلَّى مِنْ خَلْفِ سِتَارٍ ..
إِنِّي لَا أُؤْمِنُ فِي حُبٍّ
لَا يَحْمِلُ نَزَقَ الثُّوَارِ ..
لَا يَكْسِرُ كُلَّ الْأَسْوَارِ
لَا يَضْرِبُ مِثْلَ الْإِعْصَارِ ..
أَوْ .. لَوْ حُبُّكَ يَبْلَعُنِي
يَقْلَعُنِي .. مِثْلَ الْإِعْصَارِ ..

*

إِنِّي خَيْرْتُكَ .. فَاخْتَارِي
مَا بَيْنَ الْمَوْتِ عَلَى صَدْرِي
أَوْ فَوْقَ دِفَاتِرِ أَشْعَارِي
لَا تُوجَدُ مِنْطَقَةً وَسْطَى
مَا بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ..

رسالة من تحت الماء

إن كنتَ صديقي .. سَاعِدْني
كي أرحلَ عنكَ ..
أو كُنْتَ حبيبي .. سَاعِدْني
كي أُشْفَى مِنْكَ
لو أُنِّي أَعْرِفُ أَنَّ الحُبَّ خَطِيرٌ جِدًّا ..
ما أَحْبَبْتُ
لو أُنِّي أَعْرِفُ أَنَّ البَحْرَ عَمِيقٌ جِدًّا
ما أَبْحَرْتُ ..
لو أُنِّي أَعْرِفُ خَاتَمِي
ما كُنْتُ بَدَأْتُ ...

اَشْتَقْتُ إِلَيْكَ .. فَعَلَّمَنِي
أَنَّ لَا أَشْتاقُ

عَلَّمَنِي ..

كَيْفَ أَقْصُ جُذُورَ هَوَاكَ مِنَ الْأَعْمَاقِ

عَلَّمَنِي ..

كَيْفَ تَمُوتُ الدَّمْعَةُ فِي الْأَحْدَاقِ

عَلَّمَنِي

كَيْفَ يَمُوتُ الْقَلْبُ ، وَتَنْتَحِرُ الْأَشْواقُ

*

إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا .. خَلَّصْنِي

مِنْ هَذَا السُّحْرِ ..

مِنْ هَذَا الْكُفْرِ

حُبِّكَ كَالْكُفْرِ .. فَطَهَّرْنِي

مِنْ هَذَا الْكُفْرِ ..

إِنْ كُنْتَ قَوِيًّا .. أَخْرِجْنِي
من هذا الِيسْمِ ..
فَأَنَا لَا أَعْرِفُ فَنَّ الْعَوْمِ
المَوْجُ الْأَزْرَقُ فِي عَيْنِكَ .. يُجْرَجِرُنِي نَحْوَ الْأَعْمَقِ
وَأَنَا مَا عِنْدِي تَجْرِبَةٌ
فِي الْحُبِّ .. وَلَا عِنْدِي زَوْرَقٌ ..
إِنْ كُنْتُ أَعَزُّ عَلَيْكَ .. فَخُذْ بِيَدِي
فَأَنَا عَاشِقَةٌ مِنْ رَأْسِي .. حَتَّى قَدَمِي
إِنِّي أَتَنَفَّسُ تَحْتَ الْمَاءِ ..
إِنِّي أَغْرَقُ ..
أَغْرَقُ ..
أَغْرَقُ ..

نَهْرُ الْأَحْزَانِ

عَيْنَاكَ .. كَنَهْرِي أَحْزَانِ
نَهْرِي مُوسِقَى حَمَلَانِي
لورَاءِ .. وَرَاءِ الْأَزْمَانِ
نَهْرِي مُوسِقَى قَدْ ضَاعَا
سَيِّدَتِي ، ثُمَّ أَضَاعَانِي
الدمعُ الأسودُ .. فوقهُمَا
يتساقطُ أنغامَ بِيَانِ
عَيْنَاكَ ، وَتَبَغِي ، وَكُحُولِي
وَالْقَدْحُ الْعَاشِرُ أَعْمَانِي
وَأَنَا فِي الْمَقْعَدِ .. مُخْتَرِقُ
نِيرَانِي تَأْكُلُ نِيرَانِي

أَقُولُ أُحِبُّكَ .. يَا قَمَرِي
آه .. لَوْ كَانَ بِإِمْكَانِي
فَأَنَا لَا أَمْلِكُ فِي الدُّنْيَا
إِلَّا عَيْنَيْكَ .. وَأَحْزَانِي

*

سُفُنِي فِي الْمَرْفَأِ بِأَكِيَّةٍ
تَتَمَزَّقُ فَوْقَ الْخُلُجَانِ
وَمَصِيرِي الْأَصْفَرُ حَطَّ مَنِي
حَطَّ مَنِي فِي صَدْرِي إِيْمَانِي
أَسَافِرُ دُونَكَ لَيْلَكْتِي
يَا ظِلَّ اللَّهِ بِأَجْفَانِي
يَا صَيْفِي الْأَخْضَرَ ، يَا شَمْسِي
يَا أَجْمَلَ .. أَجْمَلَ الْوَانِي

هل أرحلُ عنكِ .. وقصَّتنا
أحلى من عودة نَيْسَانَ
أحلى من زهرة غاردينيا
في عُمْمة شَعْرِ إسباني
يا حُبِّي الأَوْحَدَ .. لا تبكي
فدموعُكِ تحفر وجداني
إني لا أملكُ في الدنيا
إلا عَيْنَيْكَ .. وأحسزاني

*

أقولُ أُحِبُّكِ .. يا قَمَري
آه .. لو كانَ بإمكانِي
فأنا إنسانٌ مفقودٌ
لا أعرفُ في الأرض مكاني
ضَيَّعَني دربي .. ضَيَّعَني
إسمي .. ضَيَّعَني عُنواني ..

تاريخي ! ما لي تاريخٌ
إني نسيانُ النسيانِ
إني مرَساةٌ لا ترسو
جرحٌ بسلامحِ إنسانِ
ماذا أعطيكِ ؟ أجيبني
قلقي ؟ إلحادي ؟ غثياني ؟
ماذا أعطيكِ سوى قدرِ
يرقصُ في كفِّ الشيطانِ

*

أنا أَلْفُ أَحِبُّكَ .. فابْتَعِدِي
عني .. عن ناري ودُخاني
فأنا لا أملكُ في الدنيا
إلا عَيْنَيْكَ .. وأحزاني

شؤونٌ صغيرة

١

شؤونٌ صغيرةً ..
تَمُرُّ بها أنتَ .. دُونَ التَّفَاتِ
تُساوي لَدَيَّ حَيَاتِي
جَمِيعَ حَيَاتِي ..
حَوَادِثُ .. قَدْ لَا تُثِيرُ اهْتِمَامَكَ
أَعْمَرُ مِنْهَا قُصُورَ
وَأَحْيَا عَلَيْهَا شُهُورَ ..
وَأَغْزِلُ مِنْهَا حِكَايَا كَثِيرَةَ
وَأَلْفَ سَمَاءٍ ..
وَأَلْفَ جَزِيرَةَ ..
شُؤُونَ .. شُؤُونَكَ تِلْكَ الصَّغِيرَةَ

*

فحين تُدخِّنُ .. أجتو أمامكُ

كقَطَّتِكَ الطَّيِّبَةَ

وَكُلِّي أَمَانُ

الْأَحِيقُ مَزْهُوَّةٌ مُعْجَبَةٌ

خُيُوطَ الدِّخَانِ

تُوزَعُهَا فِي زَوَايَا الْمَكَانِ

دَوَائِرُ ...

دَوَائِرُ ...

وَتَرَحَّلُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ عَنِّي

كَنَجْمٍ ، كَطَيْبٍ مُهَاجِرٍ

وَتَرَكْنِي يَا صَدِيقَ حَيَاتِي

لِرَائِحَةِ التَّبَعِ وَالذِّكْرِيَاتِ

وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..
وزادي أنا .. كلُّ زادي
حُطَامُ السجائرُ
وصَحْنُ يَضُمُّ رماداً ..
يَضُمُّ رَمَادِي ..

٣

وحينَ أكونُ مريضهً
وتحملُ أزهاركَ الغاليه
صديقي إليّ ..
وتجعلُ بينَ يديكَ يديّ
يعودُ لي اللونُ والعافيه
وتلتصقُ الشمسُ في وِجنتي

٢٥

وَأَبْكِي ...

وَأَبْكِي ...

بغير إرادة

وَأَنْتَ تَرُدُّ غِطَائِي عَلَيَّ

وَتَجْعَلُ رَأْسِي فَوْقَ الْوَسَادَةِ

تَمَنَيْتُ كُلَّ التَّمَنِّيِّ

صَدِيقِي .. لَوْ أَنِّي

أُظِلُّ .. أُظِلُّ عَلَيْهِ

لَتَسْأَلَ عَنِّي ..

لَتَحْمِلَ لِي كُلَّ يَوْمٍ ..

وَرُودًا جَمِيلَةً ..

*

وَإِنْ رَنَّ فِي بَيْتِنَا الْهَاتِفُ
 إِلَيْهِ أَطِيرُ
 أَنَا يَا صَدِيقِي الْأَثِيرُ
 بِفَرَحَةٍ طِفْلٍ صَغِيرُ
 بِشَوْقٍ سُنُونُوءٍ شَارِدَةٍ
 وَأَحْتَضِينُ آلَةَ الْجَامِدَةِ
 وَأَعَصِرُ أُسْلَاكَهَا الْبَارِدَةَ
 وَأَنْتَظِرُ الصَّوْتَ .. صَوْتِكَ يَهْمِي عَلَيَّ
 دَفِينًا ، مَلِيثًا ، قَوِيً
 كَصَوْتِ ارْتِطَامِ النُّجُومِ
 كَصَوْتِ سُقُوطِ الْحُلِيِّ
 وَأَبْكِي .. وَأَبْكِي ..
 لِأَنَّكَ فَكَّرْتَ فِيَّ
 لِأَنَّكَ مِنْ شُرُفَاتِ الْغُيُوبِ
 هَتَفْتَ إِلَيَّ ..

ويومَ أَجِيءُ إِلَيْكَ ..
لكي أَسْتَعِيرَ كِتَابَ
لَأَزْعُمَ أَنِّي أَتَيْتُ ..
لكي أَسْتَعِيرَ كِتَابَ
تَمُدُّ أَصَابِعَكَ الْمُتَعَبَةَ
إِلَى الْمَكْتَبَةِ ..

وأبقي أنا .. في ضَبَابِ الضَّبَابِ
كَأَنِّي سَوَّالٌ .. بغيرِ جَوَابِ
أُحَدِّقُ فِيكَ .. وفي المَكْتَبَةِ
كَمَا تَفْعَلُ الْقِطَّةُ الطَّيِّبَةُ ..
تُرَاكَ اِكْتَشَفْتَ ؟
تُرَاكَ عَرَفْتَ ؟
بِأَنِّي جِئْتُ لغيرِ الكِتَابِ
وَأَنِّي لستُ سِوَى كاذِبَةٍ ..

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي
كأني حَمَلْتُ الوُجُودَ معي ..
وأشعلُ ضوئي ..
وأسدلُ حولي السُّتُورَ
وأنبشُ بينَ السُّطُورِ ، وخلفَ السُّطُورِ
وأعدو وراءَ الفواصلِ ، أعدو
وراءَ نقاطِ تدُورُ ..
ورأسي يدُورُ
كأني عُصفُورَةٌ جائعَةٌ
تفتشُ عن فضلاتِ البُدُورِ
لعلَّكَ .. يا .. يا صديقي الأثيرُ
تركتَ بإحدى الزوايا
عبارةَ حُبِّ صغيرة ..
جُنِينَةَ شَوْقِ صغيرة ..
لعلَّكَ بينَ الصَّحائفِ حَبَّاتَ شَيِّءٍ
سلاماً صغيراً .. يُعيدُ السَّلَامَ إِلَيَّ ..

.. وحينَ نَكُونُ معاً في الطريقِ
 وتأخذُ - من غيرِ قَصْدٍ - ذِرَاعِي
 أُحِسُّ أَنَا يا صديقُ
 بشيءٍ عميقٍ ..

بشيءٍ .. يُشَابَهُ طَعْمَ الحريقِ

على مرفقي
 وأرفعُ كَفِّيَ نحوَ السَّمَاءِ
 لتجعلَ دربي بغيرِ انتهاءٍ

وأبكي ..

وأبكي ..

بغيرِ انقطاعٍ ..

لكي يستمرَّ ضياعي ..

وَحِينَ أَعُودُ مَسَاءً .. إِلَى غُرْفَتِي
وَأَنْزَعُ عَن كَتِفِيَّ الرِّدَاءَ
أَحِسُّ - وَمَا أَنْتَ فِي غُرْفَتِي -
بَأَنَّ يَدَيْكَ
تَلْفَنَانِ فِي رَحْمَةٍ مَرْفَقِي
وَأَبْقَى لِأَعْبُدَ يَا مُرْهَقِي
مَكَانَ أَصَابِعِكَ الدَّافِئَاتِ
عَلَى كُمِّ فُسْتَانِي الْأَزْرَقِ
وَأَبْكِي ..
وَأَبْكِي ..
بغِيرِ انْقِطَاعِ ..
كَأَنَّ ذِرَاعِي .. لَيْسَتْ ذِرَاعِي ..

طُوقِ الْيَاسَمِينَ

شُكْرًا ..
لَطُوقِ الْيَاسَمِينُ
وَضَحِكْتِ لِي ..
وظننتُ أَنَّكَ تعرفينُ
معنى سوارِ اليَاسَمِينِ
يأتي به رَجُلٌ إِلَيْكَ ..
ظننتُ أَنَّكَ تُدرِكينُ ..

*

.. وَجَلَسْتُ فِي رُكْنِ رَكِينٍ
تَتَمَشَّطِينَ
وَتُنَقِّطِينَ العَطْرَ مِنْ قَارُورَةٍ
وَتُدْمَمِينَ
لِحْنًا فَرَنْسِيَّ الرِّينِ
لِحْنًا كَأَيَّامِي حَزِينِ
قَدَمَاكِ فِي الخُفِّ المُقَصَّبِ ..
جَدُولَانَ مِنَ الحَنِينِ
وَقَصَدْتَ دُولَابَ المَلَابِسِ ..
تَقْلَعِينَ .. وَتَرْتَدِينَ
وَطَلَبْتِ أَنْ أختَارَ مَاذَا تلبَسِينَ
أَفَلِي إِذْنُ؟
أَفَلِي أَنَا تَتَجَمَّلِينَ؟

وَوَقَفْتُ .. فِي دَوَامَةِ الْأَلْوَانِ مَلْتَهَبَ الْجَبِينِ
الْأَسْوَدُ الْمَكْشُوفُ مِنْ كَتِفَيْهِ .. هَلْ تَرَدَّدِينَ؟
لَكِنَّهُ لَوْنٌ حَزِينٌ!
لَوْنٌ كَأَيَّامِي حَزِينٌ
وَلِبَسْتِهِ .. وَرَبَطْتَ طَوْقَ الْيَاسْمِينِ
وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَعْرِفِينَ ..
مَعْنَى سَوَارِ الْيَاسْمِينِ
يَأْتِي بِهِ رَجُلٌ إِلَيْكَ ..
ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَدْرِكِينَ ..

*

هَذَا الْمَسَاءُ ..
بِحَانَةِ صُغْرَى رَأَيْتُكَ تَرْقُصِينَ
تَتَكَسَّرِينَ عَلَى زُنُودِ الْمُعْجَبِينَ
تَتَكَسَّرِينَ ..
وَتُدْمَمِينَ ..
فِي أُذُنِ فَارِسِكِ الْأَمِينِ
لِحْنًا فَرَنْسِيَّ الرَّنِينِ ..
لِحْنًا كَأَيَّامِي حَزِينِ ..

وبدأتُ أكتشفُ اليقينُ
وعرفتُ أَنَّكَ للسَّوَى تتجمَّلينُ
ولهُمُ ترشِينَ العُطُورِ ..
وتقلعينَ .. وترتدينَ ..
ولمحتُ طَوْقَ الياسمينِ ..
في الأرضِ مكتومَ الأنينِ
كالجُثَّةِ البيضاء .. تدفعه جُمُوعُ الراقِصينِ
ويهمُّ فارسُكِ الوسيمُ بأخذه ..
فَتُمانعينُ ..
وتُقَهِّهينُ
« لا شيءٌ يستدعي انحناءَكَ ..
ذاك طوقُ الياسمينِ .. »

قصيدة الحزن

عَلَّمَنِي حُبِّكَ أَنْ أَحْزَنَ
وَأَنَا مَحْتَاجٌ مِنْذُ عُصُورِ
لَا مَرَأَةَ تَجْعَلُنِي أَحْزَنَ
لَا مَرَأَةَ أَبْكِي بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا
مِثْلَ الْعُصْفُورِ ..
لَا مَرَأَةَ تَجْمَعُ أَجْزَائِي
كَشَطَايَا الْبَلُّورِ الْمَكْسُورِ

*

عَلَّمَنِي حُبَّكَ .. سَيِّدَتِي
أَسْوَأَ عَادَاتُ

عَلَّمَنِي أَفْتَحُ فِنَجَانِي
فِي اللَّيْلَةِ آلَافَ المَرَّاتُ
وَأَجْرَبُ طَبَّ العَطَّارِينَ ..
وَأَطْرُقُ بَابَ العَرَافَاتُ

عَلَّمَنِي .. أَخْرَجُ مِنْ بَيْتِي
لِأَمْشِطِ أَرْضِ صِفَةِ الطَّرِيقَاتُ
وَأَطَارِدَ وَجْهَكَ ..

فِي الأَمْطَارِ ، وَفِي أَضْوَاءِ السَّيَّارَاتُ
وَأَطَارِدَ طَيْفَكَ ..
حَتَّى .. حَتَّى ..
فِي أَوْرَاقِ الإِعْلَانَاتُ ..

عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
كَيْفَ أَهَيْمُ عَلَى وَجْهِ سَاعَاتِ
بِحَثًّا عَنْ شَعْرِ غَجْرِي *
تَحْسُدُهُ كُلُّ الْغَجْرِيَّاتِ
بِحَثًّا عَنْ وَجْهِ .. عَنْ صَوْتِ ..
هُوَ كُلُّ الْأَوْجِهِ ، وَالْأَصْوَاتِ ..

*

أَدْخَلَنِي حُبُّكَ سَيِّدَتِي
مُدُنَ الْأَحْزَانِ
وَأَنَا مِنْ قَبْلِكَ لَمْ أَدْخُلُ
مُدُنَ الْأَحْزَانِ ..
لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا .. أَنَّ الدَّمْعَ هُوَ الْإِنْسَانُ
أَنَّ الْإِنْسَانَ بَلَا حَزَنِ
ذَكَرَى إِنْسَانًا ..

عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
أَنْ أَتَصَرَّفَ كَالصَّبِيَّانِ
أَنْ أُرْسِمَ وَجْهَكَ ..
بِالطَّبَشُورِ عَلَى الْحَيْطَانِ
وَعَلَى أَشْرَعَةِ الصِّيَّادِينَ ..

عَلَى الْأَجْرَاسِ ..
عَلَى الصُّلْبَانِ ..
عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
كَيْفَ الْحُبِّ يُغَيِّرُ خَارِطَةَ الْأَزْمَانِ
عَلَّمَنِي .. أَيُّ حِينٍ أُحِبُّ
تَكْفُفُ الْأَرْضُ عَنِ الدَّوْرَانِ ..

عَلَّمَنِي حُبُّكَ أَشْيَاءَ ..
ما كانتُ أبدأً في الحِسابِ
فقرأتُ أقاصيصَ الأَطفالِ ..
دخلتُ قُصورَ مُلوكِ الجانِ
وحلمتُ بأن تزوجَني
بنتُ السلطانِ

تلكَ العَيناها .. أصفى من ماء الخَلجانِ
تلكَ الشَفَفاها .. أشهى من زَهَرِ الرُمانِ
وحلمتُ بأني أخطُفُها ..
مثلَ الفُرسانِ ..

عَلَّمَنِي حُبُّكَ ، يا سَيِّدتي ، ما الهَديانِ
عَلَّمَنِي .. كيف يمرُّ العُمُرُ ..
ولا تأتي بنتُ السلطانِ ..

*

عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
كَيْفَ أُحِبُّكَ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ
فِي الشَّجَرِ الْعَارِي ..
فِي الْأوراقِ الْيَابِسَةِ الصَّفْرَاءِ
فِي الْجَوِّ الْمَاطِرِ ، فِي الْأَنْوَاءِ
فِي أَصْغَرِ مَقْهَى ..
نَشْرَبُ فِيهِ ، مَسَاءً ، قَهْوَتَنَا السُّودَاءِ
عَلَّمَنِي حُبُّكَ أَنْ آوِي ..
لِفَنَادِقَ لَيْسَ لَهَا أَسْمَاءُ ..
وَكُنَائِسَ لَيْسَ لَهَا أَسْمَاءُ ..
وَمَقَاهِ لَيْسَ لَهَا أَسْمَاءُ ..

عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
كَيْفَ اللَّيْلِ يُضَخِّمُ أَحْزَانَ الْغُرَبَاءِ
عَلَّمَنِي .. كَيْفَ أَرَى بِيْرُوتَ
إِمْرَأَةً .. طَاغِيَةَ الْإِغْرَاءِ
إِمْرَأَةً .. تَلْبَسُ كُلَّ مَسَاءٍ
أَجْمَلَ مَا تَمْلِكُ مِنْ أَزْيَاءِ
وَتَرْشُ الْعَطْرَ .. عَلَى نَهْدَيْهَا ..
لِلْبَحَّارَةِ وَالْأَمْرَاءِ ..
عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
أَنْ أَبْكِي مِنْ غَيْرِ بُكَاءِ
عَلَّمَنِي .. كَيْفَ يَنَامُ الْحَزَنُ
كَغَلَامٍ مَقْطُوعِ الْقَدَمَيْنِ
فِي طُرُقِ « الرَّوْشَةِ » وَ « الْحَمْرَاءِ » .

*

عَلَّمَنِي حُبِّكَ أَنْ أَحْزَنَ ..
وَأَنَا مَحْتَاجٌ مِنْذُ عُصُورٍ
لَا مَرَأَةَ .. تَجْعَلُنِي أَحْزَنَ
لَا مَرَأَةَ .. أَبْكِي بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا ..
مِثْلَ الْعُصْفُورِ ..
لَا مَرَأَةَ .. تَجْمَعُ أَجْزَائِي
كَشَطَايَا الْبَلُّورِ الْمَكْسُورِ ..

قارئة الفجآن

جَلَسْتُ .. والخوفُ بعَيْنَيْهَا
تأملُ فِنَجَانِي المقلُوبُ
قالتُ :

يا وَلَدِي .. لا تَحْزَنُ
فالحُبُّ عَلَيْكَ هو المَكْتُوبُ
يا وَلَدِي
قد ماتَ شَهِيداً ..
من ماتَ على دينِ المَحْبُوبِ

فنجانك .. دنيا مرعبة
وحياتك أسفارٌ وحروبٌ ..
ستحبُّ كثيراً يا ولدي ..
وتموتُ كثيراً يا ولدي ..
وستعشقُ كلَّ نساء الأرض ..
وترجعُ كالمليكِ المغلوبِ ..

*

بحياتك ، يا ولدي ، امرأة ..
عينها ، سبحان المعبود
فمها .. مرسومٌ كالعنقود
ضحكتها ، موسيقى وورود
لكنَّ سماءك ممطرة ..
وطريقك .. مسدود .. مسدود

فحبيبةُ قلبك .. يا ولدي
نائمةٌ في قصرٍ مرصودٍ
والقصرُ كبيرٌ يا ولدي
وكلابٌ تحرسُهُ .. وجنودٌ
وأميرةٌ قلبك نائمةٌ ..
مَنْ يدخلُ حُجرتَها مفقودٌ ..
مَنْ يطلبُ يَدَها .. مَنْ يدنو ..
مِنْ سُورِ حديقَتِها مفقودٌ
مَنْ حاولَ فَكَّ ضفائِرِها
يا ولدي ..
مفقودٌ .. مفقودٌ .. مفقودٌ ..

*

بَصَّرْتُ .. وَنَجَّمْتُ كَثِيرًا
لَكِنِّي .. لَمْ أَقْرَأْ أَبَدًا
فَنَجَانًا يُشْبَهُ فَنَجَانِكَ
لَمْ أَعْرِفْ أَبَدًا يَا وَلَدِي
أَحْزَانًا تُشْبَهُ أَحْزَانِكَ
مَقْدُورُكَ .. أَنْ تَمْشِيَ أَبَدًا
فِي الْحُبِّ .. عَلَى حَدِّ الْخِنْجَرِ
وَتَظَلَّ وَحِيدًا كَالْأَصْدَافِ
وَتَظَلَّ حَزِينًا كَالصَّفْصَافِ
مَقْدُورُكَ أَنْ تَمْضِيَ أَبَدًا
فِي بَحْرِ الْحُبِّ بِغَيْرِ قُلُوعِ
وَتُحِبَّ .. مَلَائِينَ الْمَرَاتِ ..
وَتَرْجِعَ كَالْمَلِكِ الْمَخْلُوعِ ..

صِدِّيقِي وَسِجَّارِي

وَاصِلُ تَدَخِينِكَ .. يُغْرِينِي
رَجُلٌ .. فِي لِحْظَةِ تَدَخِينِ
مَا أَشْهَى تَبْغَكَ .. وَالدُّنْيَا
تَسْتَقْبِلُ أَوَّلَ تَشْرِينِ
وَالْقَهْوَةَ .. وَالصُّحُفَ الْكَسَلَى
وَرُؤْيً .. وَحُطَامَ فَنَاجِينِ
دَخْنٌ .. لَا أَرْوَعَ مِنْ رَجُلٍ
يَفْنَى فِي الرُّكْنِ .. وَيُفْنِينِي ..
رَجُلٌ .. تَنْضَمُّ أَصَابِعُهُ
وَتُفَكَّرُ .. مِنْ غَيْرِ جِينِ ..

*

أَشْعِلْ وَاحِدَةً .. مِنْ أُخْرَى
أَشْعِلْهَا مِنْ جَمْرٍ عِيُونِي ..
وَرَمَادُكَ ضَعْفُهُ عَلَيَّ كَفِّي ..
نِيرَانُكَ لَيْسَتْ تُؤْذِينِي ..
فَأَنَا كَامِرَةٌ .. يُرْضِينِي
أَنَّ أَلْقِيَ نَفْسِي فِي مَقْعَدٍ ..
سَاعَاتٍ فِي هَذَا الْمَعْبَدِ
أَتَأَمَّلُ فِي الْوَجْهِ الْمُجْهَدِ
وَأَعُدُّ .. أَعُدُّ .. عُرُوقَ الْيَدِ
فَعُرُوقُ يَدَيْكَ .. تُسَلِّينِي
وَنُحْيُوطُ الشَّيْبِ .. هُنَا .. وَهُنَا
تُنْهِي أَعْصَابِي .. تُنْهِي سُنِّي ..
دَخَنْ .. لَا أَرْوَعُ مِنْ رَجُلٍ
يَفْنَى فِي الرُّكْنِ .. وَيُفْنِينِي ..

*

أَحْرِقْنِي .. إِحْرِقْ بِي بَيْتِي
وَتَصَرَّفْ فِيهِ كَمَجْنُونِ
فَأَنَا كَامِرَةٌ .. يَكْفِينِي
أَنْ أَشْعُرَ .. أَنْتَ تَحْمِينِي
أَنْ أَشْعُرَ أَنَّ هُنَاكَ يَسْـَٔدًا ..
تَتَسَلَّلُ مِنْ خَلْفِ الْمَقْعَدِ ..
كِي تَمْسَحَ رَأْسِي وَجِييَنِي ..
تَتَسَلَّلُ مِنْ خَلْفِ الْمَقْعَدِ
لِتُدَاعِبَ أُذُنِي بِسُكُونِ
وَلتَتْرَكَ فِي شَعْرِي الْأَسْوَدَ
عِقْدًا مِنْ زَهْرِ اللَّيْمُونِ

*

دَخَنْ .. لَا أَرُوْعَ مِنْ رَجُلٍ
يَفْنَى فِي الرُّكْنِ .. وَيُفْنِينِي

إلى تلميزة

قُلْ لِي - ولو كَذِباً - كلاماً ناعماً
قد كَادَ يَقْتُلُنِي بِكَ التَّمْثَالُ
ما زلتِ فِي فَنِّ المَحَبَّةِ طفلةً
بيني وبينك .. أَبْحُرُّ وِجَالَ
لم تستطعي ، بَعْدُ ، أن تَتَفَهَّمِي
أنَّ الرِّجَالَ جَمِيعَهُمْ أَطْفَالُ
إِنِّي لأَرْفُضُ أن أكونَ مُهْرَجاً
قَزَماً ، على كَلِمَاتِهِ يَحْتَالُ
فإذا وَقَفْتُ أمامَ حَسَنِكَ صامتاً
فألصقتُ في حَرَمِ الجَمالِ جَمالُ
كَلِمَاتُنَا في الحُبِّ .. تَقْتُلُ حُبَّنَا
إِنَّ الحُرُوفَ تَمُوتُ حينَ تُقَالُ ..

*

قِصَصُ الهوى قد أَفْسَدَتْكِ .. فَكُلُّهَا
غَيْبُوبَةٌ .. وَخُرَافَةٌ .. وَخِيَالٌ
الحُبُّ لَيْسَ رِوَايَةً شَرْقِيَّةً
بِخْتَامِهَا يَتَزَوَّجُ الأَبْطَالُ
لَكِنَّهُ الإِبْحَارُ دُونَ سَفِينَةٍ
وَشُعُورُنَا أَنَّ الوُصُولَ مُحَالٌ
هُوَ أَنْ تَظَلَّ عَلَى الأَصَابِعِ رِغْشَةٌ
وَعَلَى الشِّفَاهِ المُطَبَّقَاتُ سُؤَالٌ
هُوَ جَدَوُلُ الأَحْزَانِ فِي أَعْمَاقِنَا
تَنْمُو كُرُومٌ حَوْلَهُ وَغِيَالٌ ..
هُوَ هَذِهِ الأَزْمَاتُ تَسْحَقُنَا مَعاً ..
فَنَمُوتُ نَحْنُ .. وَتُزْهِرُ الأَمَالُ
هُوَ أَنَّ نُشُورَ لَأَيِّ شَيْءٍ تَافِسُهُ
هُوَ يَأْسُنَا .. هُوَ شَكُنَا القِتَالُ

هُوَ هَذِهِ الْكَفُّ الَّتِي تَغْتَالُنَا
وَنُقَبِّلُ الْكَفَّ الَّتِي تَغْتَالُ

*

لَا تَجْرَحِي التَّمْثَالَ فِي إِحْسَاسِهِ
فَلَكُمْ بَكِي فِي صَمْتِهِ تِمْتَالُ
قَدْ يُطْلِعُ الْحَجْرُ الصَّغِيرُ بَرَاعِمًا
وَتَسِيلُ مِنْهُ جَدَاوِلُ وَظُلَالُ
إِنِّي أُحِبُّكَ مِنْ خِلَالِ كَابَتِي
وَجَهًا كَوَجْهِ اللَّهِ .. لَيْسَ يُطَالُ
حَسْبِي .. وَحَسْبُكَ .. أَنْ تَظَلِّي دَائِمًا
سِرًّا يُمَزِّقُنِي .. وَلَيْسَ يُقَالُ ..

لُولِيَّتَا

صَارَ عُمْرِي ..
خَمْسَ عَشْرَةَ ..
صِرْتُ أَحْلَى أَلْفَ مَرَّةً
صَارَ حُبِّي لَكَ أَكْبَرَ
أَلْفَ مَرَّةً ..

*

رَبِّمَا .. مِنْ سَنَتَيْنِ
لَمْ تَكُنْ تَهْتَمُّ فِي وَجْهِ الْمُدَوَّرِ
كَانَ حُسْنِي .. بَيْنَ بَيْنِ
وَفَسَاتِينِي تُغَطِّي الرُّكْبَتَيْنِ
كَنتُ آتِيكَ بِثَوْبِي الْمَدْرَسِيِّ
وَشَرِيطِي الْقُرْمُزِيِّ
كَانَ يَكْفِينِي بِأَنْ تُهْدِي إِلَيَّ
دُمِيَّةً ..
قِطْعَةً سُكَّرَ ..
لَمْ أَكُنْ أَطْلُبُ أَكْثَرَ ..

*

.. وَتَطَوَّرُ
بَعْدَ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ
لَمْ أَعُدْ أَقْنَعُ فِي قِطْعَةِ سُكَّرٍ
وَدُمِّي تَطْرَحُهَا بَيْنَ يَدَيَّ
صَارَتِ اللَّعْبَةُ أخطرَ ..
ألفَ مَرَّةً ..
صِرْتَ أَنْتَ اللَّعْبَةَ الْكُبْرَى لَدَيَّ
صِرْتَ أَحْلَى لَعْبَةٍ بَيْنَ يَدَيَّ
صَارَ عُمْرِي
خَمْسَ عَشْرَةَ ..

*

صَارَ عُمْرِي
خَمْسَ عَشْرَةَ ..
كُلُّ مَا فِي دَاخِلِي غَنِي وَأَزْهَرُ
كُلُّ شَيْءٍ صَارَ أَخْضَرُ
شَفَتِي خَوْخُ .. وَيَا قَوْتُ مُكَسَّرُ
وَبَصْدْرِي .. ضَحِكْتُ قُبَّةً مَرْمَرُ
وَيَنَابِيعُ .. وَشَمْسُ .. وَصَنَوْبَرُ
صَارَتِ الْمَرَاةُ لَوْ تَلَمَسُ نَهْدِي تَتَخَدَّرُ
وَالَّذِي كَانَ سَوِيًّا ..
قَبْلَ عَامَيْنِ .. تَدَوَّرُ ..
فَتَصَوَّرُ ..

طفلةُ الأَمْسِ .. التي
كانتُ على بابكَ تلعبُ
والتي كانتُ على حُضْنِكَ تَغْفُو ..
حينَ تَتَعَبُ ..
أصبحتُ قِطْعَةً جَوْهَرُ
لا تُقَدَّرُ ..

*

صارَ عُمُرِي
خَمْسَ عَشْرَةَ ..
صِرْتُ أَجْمَلُ ..
وستدعوني إلى الرِّقْصِ .. وأَقْبَلُ ..
سوفَ أَلْتَفُّ بِشالِ قَصْبِي
وسأبدو كالأميراتِ بِبَهْوِ عَرَبِي

أنتَ بعدَ اليومِ .. لَنْ تَخْجَلَ فِي^٣
فلقد أصبحتُ أطولُ ..
آه .. كمُ صَلَّيتُ كي أُصبحَ أطولُ
إِضْبَعًا .. أو إِضْبَعَيْنِ^٤
آه .. كمُ حاولتُ أن أظهرَ أكبرَ
سَنَةً أو سَنَتَيْنِ ..
آه .. كمُ ثُرْتُ على وجهي المَدَوَّرِ^٥
وذُؤَابَاتِي ، وثوبي المدرسي^٦
وعلى الحُبِّ بِشَكْلِ أبوي ..
لا تعاملني .. بِشَكْلِ أبوي^٧
فلقد أصبحَ عُمري ..
خَمْسَ عَشْرَةَ ..

الرسم بالكلمات

لا تَطْلُبِي مِنِّي حِسَابَ حَيَاتِي
إِنَّ الْحَدِيثَ يَطُولُ يَا مَوْلَاتِي ..
كُلُّ الْعُصُورِ أَنَا بِهَا .. فَكَأَنَّمَا
عُمُرِي مَلَائِينَ مِنْ السَّنَوَاتِ
تَعِبْتُ مِنَ السَّفَرِ الطَوِيلِ حَقَائِبِي
وَتَعِبْتُ مِنْ خَيْلِي وَمِنْ غَزَوَاتِي

لم يَبْقَ نَهْدٌ أبيضٌ .. أو أسودٌ
إِلَّا زَرَعْتُ بِأَرْضِهِ رايَاتِي ..
لم تَبْقَ زاويةٌ بجسمٍ جميلةٍ
إِلَّا ومرت فوقها عَرَبَاتِي
فَصَلَّتْ من جِلْدِ النساءِ عباءةً
وبنيتُ أهراماً من الحَلَمَاتِ ..
وكتبتُ شعراً لا يُشابهُ سِحْرَهُ
إِلَّا كلامُ اللهِ في التَّوْرَةِ

*

.. واليومَ أجلسُ فوق سطحِ سفينتي
كاللصِّ ، أبحثُ عن طريقِ نَجَاةٍ
وأديرُ مفتاحَ الحريمِ .. فلا أرى
في الظلِّ ، غيرَ جَمَاجِمِ الأمواتِ

أَيْنَ السَّبَايَا؟ أَيْنَ مَا مَلَكَتْ يَدِي
أَيْنَ الْبُخُورُ يَضُوعٌ مِنْ حُجْرَاتِي
الْيَوْمَ .. تَنْتَقِمُ النُّهُودُ لِنَفْسِهَا
وَتَرُدُّ لِي الطَّعَنَاتِ بِالطَّعَنَاتِ

*

مَأْسَاءُ هَارُونَ الرَّشِيدِ مَرِيرَةٌ
لَوْ تُدْرِكِينَ مَرَارَةَ الْمَأْسَاءِ
إِنِّي كَمَصْبَاحِ الطَّرِيقِ .. صَدِيقَتِي
أَبْكِي ، وَلَا أَحَدٌ يَرَى دَمْعَاتِي
الْجِنْسُ .. كَانَ مُسَكِّنًا جَرَّبَتْهُ
لَمْ يُنْهِ أَحْزَانِي ، وَلَا أَزْمَاتِي
وَالْحُبُّ .. أَصْبَحَ كُلُّهُ مِثْلَ مِثَابِهَا
كَتَشَابِهِ الْأُورَاقِ فِي الْغَابَاتِ

أنا عاجزٌ عن عِشْقِ أَيَّةِ نَمَلَةٍ
أو غَيْمَةٍ ، عن عِشْقِ أَيِّ حِصَاةٍ
مَارَسْتُ أَلْفَ عِبَادَةٍ وَعِبَادَةٍ
فوجدتُ أَفْضَلَهَا عِبَادَةَ ذَاتِي !

*

فَمُكِ الْمُطَيَّبُ .. لَا يَحُلُّ قَضِيَّتِي
فَقَضَيْتِي فِي دَفْتَرِي وَدَوَاتِي
كُلُّ الدُّرُوبِ أَمَانًا مَسْدُودَةٌ
وَخَلَاصُنَا فِي الرَّسْمِ بِالْكَلِمَاتِ ..

رسالة إلى رجلٍ ما ..

١

يا سيّدي العزيز ..

هذا خطابُ امرأةٍ حمقاء ..

هل كتبتُ إليك قبلي امرأةٌ حمقاء؟

إسمي أنا؟

دعنا من الأسماء

رانية ، أم زينب ، أم هند ، أم هيفاء

أسخفُ ما نحمّله ، يا سيّدي ، الأسماء ..

*

يا سيدي !
 أخاف أن أقول ما لدي من أشياء
 أخاف - لو فعلت - أن تحترق السماء
 فشرقكم يا سيدي العزيز
 يُصدرُ الرسائلَ الزرقاء
 يُصدرُ الأحلامَ من خزائن النساء
 يُمارسُ الحجَرَ على عواطف النساء
 يستعملُ السيِّكينَ .. والسَّاطورَ ..
 كي يُخاطبَ النساءَ ..
 ويذبحُ الربيعَ ، والأشواقَ ، والصفائرَ السوداء
 وشرقكم يا سيدي العزيز
 يصنعُ تاجَ الشرفِ الرفيعِ .. من جماجمِ النساءِ ..

*

لا تَنْتَقِدْنِي سَيِّدِي ..
 إِنْ كَانَ خَطِّي سَيِّئًا ..
 فَإِنِّي أَكْتُبُ .. وَالسَّيَافُ خَلْفَ بَابِي
 وَخَارِجَ الْحُجْرَةِ صَوْتُ الرِّيحِ وَالْكِلَابِ
 يَا سَيِّدِي !
 عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ خَلْفَ بَابِي
 يَذْبَحُنِي .. إِذَا رَأَى خَطَابِي
 يَقْطَعُ رَأْسِي ..
 لَوْ رَأَى الشَّفَافَ مِنْ ثِيَابِي ..
 يَقْطَعُ رَأْسِي .. لَوْ أَنَا
 عَبَّرْتُ عَنْ عَذَابِي ..

فَشَرُّكُمْ يَا سَيِّدِي الْعَزِيزُ
يُحَاصِرُ الْمَرْأَةَ بِالْحِرَابِ ..
وَشَرُّكُمْ ، يَا سَيِّدِي الْعَزِيزُ
يُبَايِعُ الرِّجَالَ أَنْبِيَاءَ
وَيَطْمُرُ النِّسَاءَ فِي التُّرَابِ ..

٤

لَا تَنْزَعِجْ !
يَا سَيِّدِي الْعَزِيزَ .. مِنْ سَطُورِي
لَا تَنْزَعِجْ !
إِذَا كَسَرْتُ الْقُمَّمَ الْمَسْدُودَ مِنْ عُصُورِ
إِذَا نَزَعْتُ خَاتَمَ الرِّصَاصِ عَنْ ضَمِيرِي
إِذَا أَنَا هَرَبْتُ مِنْ أَقْبِيَةِ الْحَرِيمِ فِي الْقُصُورِ
إِذَا تَمَرَّدْتُ عَلَى مَوْتِي ، عَلَى قَبْرِي ، عَلَى جُدُورِي
وَالْمَسْلَخِ الْكَبِيرِ ..

لا تَنْزَعِجْ يا سَيِّدِي
إِذَا أَنَا كَشَفْتُ عَنْ شُعُورِي
فَالرَّجُلُ الشَّرْقِيُّ .. لَا يَهْتَمُّ بِالشُّعْرِ وَلَا الشُّعُورِ
الرَّجُلُ الشَّرْقِيُّ - وَاعْفِرْ جُرْأَتِي -
لَا يَفْهَمُ المِراةَ إِلَّا دَاخِلَ السَّرِيرِ ..

٦

مَعذِرَةٌ يا سَيِّدِي
إِذَا تَطَاوَلْتُ عَلَى مَمْلَكَةِ الرِّجَالِ
فَالأَدَبُ الكَبِيرُ - طَبَعاً - أَدَبُ الرِّجَالِ
وَالحُبُّ كَانَ دَائِماً .. مِنْ حِصَّةِ الرِّجَالِ ..
وَالجِنْسُ كَانَ دَائِماً
مُخَدَّراً يُبَاعُ لِلرِّجَالِ
خُرَافَةٌ حُرِّيَّةُ النِّسَاءِ فِي بِلادِنَا
فَلَيْسَ مِنْ حُرِّيَّةِ أُخْرَى سِوَى حُرِّيَّةِ الرِّجَالِ ..

٦٨

يا سيدي !
قُلْ كُلَّ مَا تُرِيدُهُ عَنِّي .. فَلَنْ أُبَالِي
سَطْحِيَّةٌ .. غَبِيَّةٌ .. مَجْنُونَةٌ .. بَلْهَاءٌ ..
فلم أَعُدُّ أُبَالِي
لأنَّ مَنْ تَكْتُبُ عَنْ هُمُومِهَا
في منطق الرجال ، تُدعى امْرَأَةً حَمَقَاءَ
أَلَمْ أَقُلْ في أوَّلِ الخِطَابِ ..
إِنِّي امْرَأَةٌ حَمَقَاءَ ..

رسالة من سيّدة حاقة

« لا تدخلني .. »

وسدّدت في وجهي الطريقَ بمرْفَقَيْكَ

وزعمت لي ..

أنَّ الرفاقَ أتوا إليك

أهمُّ الرفاقُ أتوا إليك؟

أم أنَّ سيّدةً لديك

تحتلُّ بعدي ساعديك؟

وَصَرَخْتَ مُحْتَدِمًا :

« قِيفِي » !!

وَالرِّيحُ تَمْنَعُ مِعْطَفِي

وَالذُّلُّ يَكْسُو مَوْقِفِي

لَا تَعْتَذِرْ ، يَا نَذْلُ ، لَا تَتَأَسَّفِ .

أَنَا لَسْتُ آسَفَةً عَلَيْكَ ..

لَكِنْ عَلَى قَلْبِي الْوَفِي

قَلْبِي الَّذِي لَمْ تَعْرِفِ ..

*

مَاذَا؟ لَوْ أَنَّكَ يَا دَنِي

أَخْبَرْتَنِي ..

أَنِّي أَنْتَهَيْتُ أَمْرِي لَدَيْكَ

فجميعُ ما وشوشتني ..
أيامَ كنتَ تُحِبُّني ..
مِنَ أَنِّي ..
بيتُ الفَرَاشَةِ مَسْكِنِي
وغدي انْفِرَاطُ السَّوْسَنِ ..
أَنكَرْتَهُ أَصْلًا .. كَمَا أَنكَرْتَنِي ..

*

لَا تَعْتَذِرْ ..
فَالإِثْمُ يَحْصُدُ حَاجِبِيكَ
وخطوطُ أحمرها .. تصيحُ بوجنتيكُ
ورباطك المَشْدُوهُ ..
يَفْضَحُ مَا لَدَيْكَ .. وَمَنْ لَدَيْكَ

يا مَنْ وَقَفْتُ دمي عَلَيْكَ
وَذَلَّلْتَنِي ..
وَنَفَضْتَنِي
كَذْبَابَةٍ عَنِ عَارِضِيكَ
وَدَعَوْتَ سَيِّدَةً إِلَيْكَ
وَأَهَنْتَنِي ..
مِنْ بَعْدِ مَا كُنْتَ الضِّيَاءَ بِنَاطِرِيكَ ..

*

إِنِّي أَرَاهَا فِي جِوَارِ الْمَوْقِدِ
أَخَذَتْ هُنَالِكَ مَقْعَدِي ..
فِي الرُّكْنِ .. ذَاتَ الْمَقْعَدِ ..
وَأَرَاكَ تَمْنَحُهَا يَدًا ..
مَثْلُوجَةً ..
ذَاتَ الْيَدِ ..

سُرِّدُ الْقِصَصَ الَّتِي أَسْمَعْتَنِي
وَلَسَوْفَ تُخْبِرُهَا بِمَا أُخْبِرْتَنِي ..
وَسَتَرْفَعُ الْكَأْسَ الَّتِي جَرَّعْتَنِي
كَأْسًا بِهَا سَمَّمْتَنِي ..
حَتَّى إِذَا عَادَتْ إِلَيْكَ
نَشْوَى بِمَوْعِدِهَا الْهَنِي ..
أَخْبِرْتَهَا « أَنْ الرِّفَاقَ أَتُوا إِلَيْكَ .. »
وَأَضَعْتَ رَوْنَقَهَا كَمَا ضَيَّعْتَنِي ..

حُبلى

لا تَمْتَقِعْ !
هيَ كَلِمَةٌ عَجَلَى
إِنِّي لِأَشْعُرُ أَنَّي حُبَلَى ..
وَصَرَخْتَ كَالْمَلْسُوعِ بِي .. « كَلَّا » ..
سَنُمزِّقُ الطِفْلا ..
وَأَخَذْتَ تَشْتُمِينِي ..
وَأرَدْتَ تَطْرُدُونِي ..
لا شَيْءَ يُدْهِشُنِي ..
فَلَقَدْ عَرَفْتُكَ دَائِمًا نَذْلًا ..

*

وَبَعَثْتَ بِالْخَدَّامِ يَدْفَعُنِي ..
فِي وَحْشَةِ الدَّرْبِ
يَا مَنْ زَرَعْتَ العَارَ فِي صُلْبِي
وَكَسَّرْتَ لِي قَلْبِي ..
ليقولَ لي :
« مولايَ لَيْسَ هُنَا .. »
مولاهُ أَلْفُ هُنَا ..
لكنَّهُ جَبْنَا ..
لَمَّا تَأَكَّدَ أَنِّي حُبْلَى ..

*

ماذا .. أَتَبْصُقُنِي ؟
والقيءُ في حَلْقِي يُدَمِّرُنِي
وأصابعُ الغَشِيانِ تَخْنُقُنِي ..
وورِيثُكَ المشوُّومُ في بَدَنِي
والعارُ يَسْحَقُنِي ..
وحقيقةُ سوداءُ .. تملأُنِي
هي أَنِّي حُبْلَى ..

*

ليرأُتِكَ الخَمْسُونَ ..
تُضْحِكُنِي ..
لَمَنِ النُّقُودُ .. لَمَنْ ؟
لِتُجْهَضَنِي ؟

لِتَخِيطَ لِي كَفَيْي؟

هَذَا إِذَنْ تُمْنِي؟

تُحْنُ الْوَفَا يَا بُورَةَ الْعَفْنِ ..

أَنَا لَمْ أَجِثُكَ لِمَالِكِ النَّتَنِ ..

« شُكْرًا .. »

سَأُسْقِطُ ذَلِكَ الْحَمْلًا

أَنَا لَا أُرِيدُ لَهُ أَبًا نَذْلًا ..

أوعية الصَّيد

« لا .. لا أريد .. »
« المرَّةُ الخَمْسُون .. إني لا أريد .. »
ودَفَنْتَ رَأْسَكَ فِي المِخْدَةَ يَا بَلِيدُ
وَأَدْرَتَ وَجْهَكَ لِلجِدَارِ .. أَيَا جِدَاراً مِنْ جَلِيدُ
وَأَنَا وَرَاءَكَ - يَا صَغِيرَ النَّفْسِ - نَابِحَةُ الوَرِيدُ
شَعْرِي عَلَى كَتِفِي بَدِيدُ ..
وَالرِّيحُ تَفْتُلُ مَقْبِضَ البَابِ الوَصِيدُ
وَنَبَاحُ كَلْبٍ مِنْ بَعِيدُ
وَالْحَارِسُ اللَّيْلِيُّ ، وَالْمِزْرَابُ مُتَّصِلُ النَشِيدُ ..

حتى الغطاء .. سرَّقتُهُ
وَطَعَنْتَ لي الأملَ الوحيدُ
أَملي الذي مزَّقتهُ ..
أَملي الوحيدُ ..
ماذا أُريدُ ؟
وَقُبَيْلَ ثانِيَتَيْنِ ..
كنتَ تَجُولُ كالشَّورِ الطَّريدِ
والآنَ ..
أنتَ بجانبي ..
قَفَصٌ من اللحمِ القَدِيدِ ..
ما أَشْنَعَ اللحمِ القَدِيدِ ..

*

ماذا أريد؟

يا وارثاً عبد الحميد ..

والمتكى التركي ، والنرجيلة الكسلى تئن وتستعيد

والشركسيات السبايا حول مضجعه الرغيد

يسقطن فوق بساطه ..

جيداً فجيداً ..

وخليفة الإسلام ، والمالك السعيد

يرمي .. ويأخذ ما يريد ..

لا .. لم يمت عبد الحميد

فلقد تقمص فيكم عبد الحميد

حتى هنا . حتى على السرر المقوسة الحديد

نحن النساء لكم عبيد

وأحط أنواع العبيد ..

كم ماتَ تحتَ سِياطِكُمْ نَهْدُ شَهِيدٍ
وبكى من استشاركُم خَصْرُ عَمِيدٍ ..

*

ماذا أُريدُ؟

لا شيءَ . يا سَفَّاحُ . يا قُرْصانُ . يا قَبوَ الجليدِ
فأنا وعاءٌ للصيدِ ..

يا وَيْلَ أوعيةِ الصَديدِ ..
هيَ ليسَ تملكُ .. أن تُريدَ ولا تُريدُ ..

إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين؟
يا بضعة امرأة .. أجيبي .. ما الذي تتوقعين؟
أأظنُّ أصدادُ الذباب هنا؟ وأنتِ تدخنين
أجترُّ كالحشاش أحلامي ..
وأنتِ تدخنين ..
وأنا أمامَ سريرك الزاهي كقطِّ مُستكين ..
ماتتُ مخالِّبه ، وعزته ، وهدته السنين

*

أنا لَنْ أكونَ - تأكّدي - القِطَّةَ الذي تَتَصَوَّرِينَ ..
قِطًّا من الخَشَبِ المُجَوَّفِ .. لا يُحرِّكُهُ الحَينُ
يُغفُو على الكُرْسِيِّ إِذ تَتَجَرَّدِينَ
وَيَرُدُّ عَيْنِيهِ .. إِذَا انْحَسَرَتْ قِبابُ اليَاسَمِينِ ..

*

تلكَ النِهايَةُ ليسَ تُدهِشُنِي ..
فألكِ تدهِشِينُ؟
هذا أنا .. هذا الذي عندي ..
فماذا تَأْمُرِينَ؟
أعصابي احْتَرَقَتْ .. وأنتِ على سِريركِ تَقْرَأِينَ ..
أَأَصُومُ عن شَفَتَيْكِ؟
فوقَ رُجُولتي ما تَطْلِينُ ..

ما حِكْمَتِي؟

ما طَبِيبِي؟

هذا طعامُ المَيْتِينَ ..

مُتَصَوِّفٌ! من قال؟ ائِيَّ آخِرُ المتصوِّفِينَ

أنا لستُ يا قَدِيسَتِي الرَّبَّ الَّذِي تَتَصَوَّرِينَ

رَجُلٌ أَنَا كالأخْرَيْنِ

بَطْهَارَتِي ..

بِنَذَالَتِي ..

رَجُلٌ أَنَا كالأخْرَيْنِ

فِيهِ مَزَايَا الأنبياءِ ، وَفِيهِ كُفْرُ الكَافِرِينَ

وَوَدَاعَةُ الأَطْفَالِ فِيهِ ..

وَقَسْوَةُ المُتَوَحِّشِينَ ..

رَجُلٌ أَنَا كَالْآخَرِينَ ..
رَجُلٌ يُحِبُّ - إِذَا أَحَبَّ - بِكُلِّ عُنْفِ الْأَرْبَعِينَ
لو كنتِ يوماً تَفْهَمِينَ
ما الْأَرْبَعُونَ .. وما الذي يَعْنِيهِ حُبُّ الْأَرْبَعِينَ
يا بَضْعَةَ امْرَأَةٍ .. لو أَنَّكَ تَفْهَمِينَ ..

إلى أَجِيرَة

بِدْرَاهِمِي !
لَا بِالْحَدِيثِ النَّاعِمِ
حَطَّمْتُ عَزَّتْكَ الْمَنِيعةَ كُلَّهَا .. بِدْرَاهِمِي
وَبِمَا حَمَلْتُ مِنَ النَّفَاسِ ، وَالْحَرِيرِ الْحَالِمِ
فَأَطَعْتَنِي ..
وَتَبِعْتَنِي ..
كَالْقِطَّةِ الْعَمِيَاءِ مُؤْمِنَةً بِكُلِّ مَزَاعِمِي ..

فإذا بصَدْرِكَ - ذلك المَعْرُورِ - ضِمْنَ غَنَائِمِي
أينَ اَعْتَدَاكَ ؟

أنتِ أَطْوَعُ في يَدِي من خَاتَمِي ..
قد كَانَ ثَغْرُكَ مَرَّةً ..

رَبِّي .. فأصْبَحَ خَادِمِي
آمَنْتُ بِالْحُسْنِ الأَجِيرِ .. وَطَأْتُهُ بِدِرَاهِمِي ..
وَرَكَلْتُهُ ..
وَذَلَلْتُهُ ..

بِدُمِّي ، بأَطْوَاقِ كَوَاهِمِ الوَاهِمِ ..
ذَهَبٌ .. وديباجٌ .. وأحجارٌ تُشَعُّ فقاومِي !!
أيُّ المَوَاضِعِ مِنْكَ .. لم تَهْطَلْ عَلَيْهِ غَمَائِمِي
خَيْرَاتُ صَدْرِكَ كُلُّهَا ..
مِنْ بَعْضِ .. بَعْضِ مَوَاسِمِي ..

*

بِدْرَاهِمِي !

بِإِنَاءِ طَيْبٍ فَاغْمِ

وَمَشِيَتِ كَالْفَارِ الْجَبَانَ إِلَى الْمَصِيرِ الْحَاسِمِ
وَلَهَوْتُ فِيكَ .. فَمَا انْتَخْتُ شَفَتَاكَ تَحْتَ جِرَائِمِي

وَالْأَرْنَ بَانَ الْأَبْيَضَانَ .. عَلَى الرُّخَامِ الْهَاجِمِ
جَبْنَا .. فَمَا شَعْرًا بَطُّمَ الظَّالِمِ ..

وَأَنَا أَصَبُّ عَلَيْهِمَا ..

نَارِي .. وَنَارَ شَتَائِمِي ..

رُدِّي .. فَلَسْتُ أُطِيقُ حُسْنًا ..

لَا يَرُدُّ شَتَائِمِي ..

*

مَسْكِينَةٌ ..

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنْكَ ... مِنْذُ اسْتَعْبَدْتُكَ دَرَاهِمِي !!

لن تُطْفِئَ مَجْدِي

ثَرَّتْ جَدًّا .. فَاتْرُكِنِي
شَيْءٌ يُمَزَّقُ لِي جِيْنِي
أَنَا فِي الْجَحِيمِ . وَأَنْتِ لَا
تَدْرِينَ مَاذَا يَعْتَرِينِي
لَنْ تَفْهَمِي مَعْنَى الْعَذَابِ
بَرِيشْتِي .. لَنْ تَفْهَمِينِي
عَمِيَاءُ أَنْتِ .. أَلَمْ تَرِي
قَلْبِي تَجَمَّعَ فِي عُيُونِي ؟

ماتَ الحنينُ .. أسمعِينَ ؟
ومُتُّ أنتِ معِ الحنينِ
لا تسأليني .. كيفَ قِصَّتُنَا
انتهتْ ، لا تسأليني
هيَ قِصَّةُ الأعصابِ ، والأفيونِ
واللِدمِ .. والجنونِ
مرَّتْ .. فلا تتذكَّري
وجهي .. ولا تتذكَّريني
إنْ تُنكِرِها .. فأقْرأي
تاريخَ سُخْفِكَ .. في غُصُونِي

*

أمريضةَ الأفكارِ .. يابى
الليلُ أنْ تستضعفيني
لنْ تُطْفِئِي مجدي على
قَدَحِ .. وَضَمَّةِ يَاسْمِينِ

إِنْ كَانَ حُبُّكَ .. أَنْ أَعِيشَ
عَلَى هُرَاثِكَ .. فَأَكْرَهِيَنِي ..

✽

حَاوَلْتِ حَرْقِي .. فَاحْتَرَقْتِ
بِنَارِ نَفْسِكَ .. فَأَعْذِرِيَنِي
لَا تَطْلُبِي دَمْعِي ، أَنَا
رَجُلٌ يَعِيشُ بِلَا جُفُونِ
مَزَّقْتِ أَجْمَلَ مَا كَتَبْتَ
وَعَرَّتِ حَتَّى مِنْ ظُنُونِي
وَكَسَرْتَ لَوْحَاتِي ، وَأَضْرَمْتَ
الْحَرَائِقَ فِي سَكُونِي
وَكْرَهْتِيَنِي .. وَكْرَهْتَ فَنَاءً
كُنْتُ أَطْعَمُهُ عِيُونِي
وَرَأَيْتِي أَهَبُ النُّجُومَ
مَحَبَّتِي فَوَقَفْتَ دُونِي

حاولتُ أَن أُعْطِيكَ مِنْ
نَفْسِي ، وَمِنْ نُورِ الْيَقِينِ
فَسَخَرْتِ مِنْ جُهْدِي ، وَمِنْ
ضَرْبَاتِ مِطْرَقَتِي الْحَنُونِ
وَبَقِيَتِ - رَغْمَ أَنَامِلِي -
طِينًا تَرَاكَمَ فَوْقَ طِينِ
لَا كُنْتُ شَيْئًا .. فِي حِسَابِ
الذِّكْرِيَاتِ ، وَلَنْ تَكُونِي

*

شَفَتِي سَأَقْطَعُهَا .. وَلَنْ
أَمْشِي إِلَيْكَ عَلَى جَبِينِي ..

إلى نهديت مغرورين

عندي المزيدُ من الغرورِ .. فلا تبِعيني غُرُورًا
إِنْ كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أُحِبَّكَ ..
فاشكُري المولى كثيرا ..
مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ ..
أَنَّ غَدَوْتَ حَيْبِي .. زَمَنًا قَصِيرًا
فَأَنَا نَفَخْتُ النَّارَ فِيكَ ..
وَكُنْتُ قَبْلِي زَمَهَرِيرًا ..

وأنا الذي أَنْقَذْتُ نَهْدَكَ مِنْ تَسَكُّعِهِ ..
لأَجْعَلَهُ أَمِيرًا ..

وَأَدْرُتُهُ .. لولا يَدَايَ .. أَكَانَ نَهْدُكَ مُسْتَدِيرًا ؟
وأنا الذي حَرَّضْتُ حَلْمَتَكَ الْجَبَانَةَ كِي تَثُورًا
وأنا الذي ..

في أَرْضِكَ الْعَذْرَاءَ .. أَلْقَيْتُ الْبُدُورًا
فَتَفَجَّرَتْ .. ذَهَابًا ، وَأَطْفَالًا ، وَيَأْقُوتًا مُثِيرًا

*

مِنْ حُسْنِ حَظِّكَ .. أَنْ تُحِبِّبَنِي
ولو كَذِبًا وَزُورًا ..

فَأَنَا بِأَشْعَارِي فَتَحْتُ أَمَامَكَ الْبَابَ الْكَبِيرَ
وأنا دَلَلْتُ عَلَى أَنْوْثِكَ .. الْمَرَاقِبَ وَالطُّيُورَ

وَجَعَلْتُ مِنْكَ مَلِيكَةً
وَمَنْحَتُكَ التَّاجَ الْمُرْصَعَ ، وَالسَّرِيرَةَ
حَسْبِي غُرُورًا أَنِّي عَلَّمْتُ نَهْدَيْكَ الْغُرُورًا
فَلتَشْكُرِي الْمَوْلَى كَثِيرًا ..
أَنِّي عَشِقْتُكَ ذَاتَ يَوْمٍ ..
أَشْكُرِي الْمَوْلَى كَثِيرًا ..

الخُرُفَة

حِينَ كُنَّا ..

فِي الْكِتَابِ صِغَارًا

حَقَّنُونَا بِسَخِيفِ الْقَوْلِ لَيْلًا وَنَهَارًا

دَرَّسُونَا :

« رُكْبَةُ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ .. »

« ضِحْكَةُ الْمَرْأَةِ عَوْرَةٌ .. »

« صَوْتُهَا - مِنْ خَلْفِ ثُقُبِ الْبَابِ - عَوْرَةٌ .. »

صَوَّرُوا الْجِنْسَ لَنَا ..
غُولًا بِأَنْيَابٍ كَبِيرَةٍ
يَخْنُقُ الْأَطْفَالَ ، يَقْتَاتُ الْعَدَارَى
خَوْفُونَا ..

مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ، إِنْ نَحْنُ عَشِقْنَا
هَدَّدُونَا ..

بِالسَّكَاكِينِ .. إِذَا نَحْنُ حَلُمْنَا
فَنَشَأْنَا ..

كَنْبَاتِ الصَّحَارَى
نَلْعَقُ الْمَلْحَ ، وَنَسْتَفُ الْغُبَارَا

*

يَوْمَ كَانَ الْعِلْمُ فِي أَيَّامِنَا ..
فَلَقَّةً تُمْسِكُ رِجْلَيْنَا .. وَشَيْخًا .. وَحَصِيرًا
شَوْهُونَا ..

شَوْهُونَا هِيَ الْإِحْسَاسَ فِينَا وَالشُّعُورَا
فَصَلُّوا أَجْسَادَنَا عَنَّا .. عُصُورًا وَعُصُورَا
صَوَّرُوا الْحُبَّ لَنَا .. بَابًا خَطِيرًا
لَوْ فَتَحْنَاهُ .. سَقَطْنَا مَيِّتِينَ ..
فَنَشَانَا سَادَجِينَ

وَبَقِينَا سَادَجِينَ
نَحْسَبُ الْمَرْأَةَ شَاةً أَوْ بَعِيرًا
وَنَرَى الْعَالَمَ جِنْسًا وَسَرِيرًا ..

القصيدۃ المتوحشة

أَحْبَبْنِي بِلا عُنُقَدٍ ..
وَضِيعِي فِي خُطُوطِ يَدِي
أَحْبَبْنِي لِأُسْبُوعٍ ، لِأَيَّامٍ ، لِسَاعَاتٍ ..
فَلَسْتُ أَنَا الَّذِي يَهْتَمُّ بِالْأَبَدِ ..
أَنَا تَشْرِينُ ..
شَهْرُ الرِّيحِ ، وَالْأَمْطَارِ ، وَالْبَرْدِ ..
أَنَا تَشْرِينُ .. فَأَنْسَحِقِي
كَصَاعِقَةٍ عَلَى جَسَدِي ..

أَحْبَبْنِي . بِكُلِّ تَوْحُشٍ التَّتَرِّ
بِكُلِّ حَرَارَةِ الْأَدْغَالِ . كُلِّ شَرَّاسَةِ الْمَطَرِ
وَلَا تُبْقِي .. وَلَا تَذَرِي
وَلَا تَتَحَضَّرِي أَبَدًا ..
فَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى شَفَتَيْكَ كُلُّ حَضَارَةِ الْحَضَرِ ..
أَحْبَبْنِي كَزَلْزَالٍ ..
كَمَوْتٍ غَيْرِ مُنْتَظَرٍ ..
وَوَخْلِي نَهْدِكَ الْمَعْجُونََ بِالْكَبْرِيتِ وَالشَّرِّ
يُهَاجِمُنِي .. كَذَنْبٍ ، جَائِعٍ ، خَطِرٍ ..
وَيَنْهَشُنِي .. وَيَضْرِبُنِي
كَمَا الْأَمْطَارُ تَضْرِبُ سَاحِلَ الْجُزُرِ
أَنَا رَجُلٌ بِلَا قَدَرٍ ..
فَكُونِي أَنْتِ لِي قَدَرِي ..
وَأَبْقِينِي عَلَى نَهْدِكَ مِثْلَ النَّقْشِ فِي الْحَجَرِ ..

أَحْبَبْنِي .. وَلَا تَسْأَلْنِي كَيْفًا
وَلَا تَتَلَعَّثْنِي خَجَلًا .. وَلَا تَتَسَاقَطْنِي خَوْفًا .
فَحِينَ الْحُبِّ يَضْرِبُنَا ..
فَلَا (مَاذَا) وَلَا (كَيْفًا) ..

أَحْبَبْنِي .. بَلَا شَكْوَى
أَيْشِكُوا الْغَمْدُ إِذْ يَسْتَقْبِلُ السَّيْفَا
وَكُونِي الْبَحْرَ وَالْمِينَاءَ ، كُونِي الْأَرْضَ وَالْمَنْفَى
وَكُونِي الصَّحْوَ وَالْإِعْصَارَ ..
كُونِي اللَّيْنَ وَالْعُنْفَا

أَحْبَبْنِي .. بِالْفِ وَأَلْفِ أُسْلُوبِ
وَلَا تَتَكَرَّرِي كَالصَّيْفِ .. إِنِّي أَكْرَهُ الصَّيْفَا ..

*

أَحِبِّينِي .. وَقُولِيهَا
لَأَرْفُضُ أَنْ تُحِبِّينِي بِلا صَوْتِ
وَأَرْفُضُ أَنْ أُوَارِيَ الحُبَّ فِي قَبْرِ مِنَ الصَّمْتِ
أَحِبِّينِي ..

بعيداً عن بلاد القَهْرِ والكَبْتِ ..
بعيداً عن مدينتنا التي شَبَعَتْ مِنَ المَوْتِ ..
بعيداً عن تَعَصُّبِهَا ..

بعيداً عن تَخَشُّبِهَا
أَحِبِّينِي .. بعيداً عن مدينتنا
التي من يومٍ أَنَّ كَانَتْ
إِلَيْهَا الحُبُّ لَا يَأْتِي ..
إِلَيْهَا اللهُ لَا يَأْتِي ..

*

أَحْبَبْنِي ..
وَلَا تَخْشِيْ عَلَى قَدَمَيْكَ ، سَيِّدَتِي ، مِنَ الْمَاءِ
فَلَنْ تَتَعَمَّدِي امْرَأَةً ..
وَجِسْمُكَ خَارِجَ الْمَاءِ ..
وَشَعْرُكَ خَارِجَ الْمَاءِ ..
فَنَهْدُكَ بَطَّةٌ بِيضَاءُ .. لَا تَحْيَا بِلَا مَاءٍ
أَحْبَبْنِي بِطُهْرِي أَوْ بِأَخْطَائِي ..
بِصَحْوِي أَوْ بِأَنْوَائِي ..
وَعَطِّئِي ، أَيَا سَقْفًا مِنَ الْأَزْهَارِ ، يَا غَابَاتِ حَنَاءِ
تَعْرِي .. وَاسْقِطِي مَطْرًا عَلَى عَطْشِي وَصَحْرَائِي
وَذُوبِي فِي فَمِي كَالشَّمْعِ .. وَانْعَجِنِي بِأَجْرَائِي ..
تَعْرِي .. وَاشْطُرِي شَفْتِي
إِلَى نِصْفَيْنِ .. يَا مُوسَى بَسِينَاءِ ..

نَهْدَاكُ

سَمْرَاءُ .. صُبِّي نَهْدَاكُ الْأَسْمَرَ فِي دُنْيَا فَمِي
نَهْدَاكُ نَبْعَا لَذَّةِ حَمْرَاءُ تُشْعِلُ لِي دَمِي
مُتَمَرِّدَانِ عَلَى السَّمَاءِ ، عَلَى الْقَمِيصِ الْمُنْعَمِ
صَنَمَانِ عَاجِيَّانِ ... قَدْ مَاجَا بِبَحْرِ مُضْرَمِ
صَنَمَانِ .. إِنِّي أَعْبُدُ الْأَصْنَامَ رَغْمَ تَأْتُمِي

*

فُكِّي الغِلاَلَةَ .. واحسِرِي عن نَهْدِكِ المُتَضَرِّمِ
لا تكبتي النارَ الحَيِيسَةَ ، وارتعاشَ الأعْظَمِ
نارُ الهوى ، في حَلْمَتِكَ ، أَكُولَةٌ كَجَهَنَّمَ
خَمْرِيَّتَانِ .. احْمَرَّتَا بِلِظَى الدَمِ المُتَهَجِّمِ ..
مَحْرُوقَتَانِ .. بشهوةٍ تبكي ، وصَبْرٍ مُلْجَمِ

*

نَهْدَاكِ وحشِيَّانِ .. والمصباحُ مَشْدُوهُ الفمِ
والضوءُ مُنْعَكِسٌ على مَجْرَى الحليبِ المُعْتِمِ
وأنا أُمْدُ يَدِي .. وأسْرُقُ من حُقُولِ الأَنْجَمِ
والحَلْمَةَ الحَمَقَاءِ .. ترصُدُنِي بِظَفْرِ مُجْرِمِ
وتَغُطُّ إِصْبَعَهَا وتغمسُهَا بحبرٍ من دمي ..

يا صَلْبَةَ النَّهْدَيْنِ .. يَا أَبَى الْوَهْمِ أَنْ تَتَوَهَّمِي
نَهْدَاكَ أَجْمَلُ لَوْحَتَيْنِ عَلَى جِدَارِ الْمَرْسَمِ ..
كُرْتَانِ مِنْ زَعَبِ الْحَرِيرِ ، مِنْ الصَّبَاحِ الْأَكْرَمِ
فَتَقَدَّمِي ، يَا قِطَّيْتُ الصُّغْرَى ، إِلَيَّ تَقَدَّمِي ..
وَتَحَرَّرِي مِمَّا عَلَيْكَ .. وَحَطَّيْتُ .. وَتَحَطَّيْتُ ..

❖

مَغْرُورَةَ النَّهْدَيْنِ .. خَلِّي كَبْرِيَاءَكَ وَأَنْعَمِي
بَأَصَابِعِي ، بِزَوَابِعِي ، بِرُغُونَتِي ، بِتَهْجُمِي
فَغَدَاً شِبَابُكَ يَنْطَفِي مِثْلَ الشُّعَاعِ الْمُضْرَمِ
وَعَدَاً سِيدُوِي النَّهْدُ وَالشَّفَتَانِ مِنْكَ .. فَأَقْدِمِي
وَتَفَكَّرِي بِمَصِيرِ نَهْدِكَ .. بَعْدَ مَوْتِ الْمَوْسِمِ

لا تَفْزَعِي .. فَاللَّثْمُ لِلشُّعْرَاءِ غَيْرُ مُحَرَّمٍ
فُكِّي أَسِيرِي صَدْرِكِ الطِّفْلَيْنِ .. لا .. لا تَظْلَمِي
نَهْدَاكِ مَا خُلِقَا لِلثَّمِ الثَّوْبِ .. لَكِنْ .. لِلفَمِ
مَجْنُونَةٌ مَنْ تَحْجَبُ النُّهْدَيْنِ .. أَوْ هِيَ تَحْتَمِي
مَجْنُونَةٌ .. مَنْ مَرَّ عَهْدُ شَبَابِهَا لَمْ تُلْثَمِ ..

٤٤

.. وَجَدَبْتُ مِنْهَا الْجِسْمَ ، لَمْ تَنْفُرْ وَلَمْ تَتَكَلَّمِ
مَخْمُورَةً .. مَالَتْ عَلَيَّ بِقَدِّهَا الْمُتَهَدِّمِ
وَمَضَتْ تُعَلِّلُنِي بِهَذَا الطَّافِرِ الْمُتَكَوِّمِ
وَتَقُولُ فِي سُكْرِ ، مُعْرِبِدَةً ، بَارَشِقٍ مَبْسَمِ
« يَا شَاعِرِي .. لَمْ أَلْقَ فِي الْعَشْرِينَ مَنْ لَمْ يُفْطَمِ .. »

القَصِيدَةُ السَّرِيْرَةُ

مَطَرٌ .. مَطَرٌ .. وَصَدِيقَتُهَا
مَعَهَا .. وَلِشَّرِيْرِنَ نُوَاحُ
وَالْبَابُ تَتَنُّ مَفَاصِلُهُ
وَيُعْرَبُدُ فِيهِ الْمَفْتَاْحُ
شَيْءٌ بَيْنَهُمَا .. يَعْرِفُهُ
إِثْنَانٌ .. أَنَا وَالْمُضْبَاْحُ
وَحِكَايَةُ حُبٍّ لَا تُحْكِي
فِي الْحُبِّ يَمُوْتُ الْإِيضَاْحُ ..

*

الْحُجْرَةُ فَوْضَى .. فَحْلِي
تُرْمَى ، وَحَرِيرٌ يَنْزَاحُ
وَيَغَادِرُ زَرْعُ عُرْوَتِهِ
بُفُتُورٌ ، فَالْلَيْلُ صَبَّاحُ
الذِّبَّةُ تُرْضِعُ ذَيْبَتَهَا
وَيَدُّ تَجْتَاخُ .. وَتَجْتَاخُ
وَدَثَارُ فَرٍّ .. فَوَاحِدَةٌ
تُدْنِيهِ ، وَأُخْرَى تَرْتَاخُ
وَحَوَارُ نُهُودٍ أَرْبَعَةٌ
تَتَهَامَسُ .. وَالْهَمْسُ مُبَاخُ
كَطُيُورٍ بَيْضٍ .. فِي رَوْضٍ
تَتَنَاقَرُ .. وَالرَيْشُ سَلَاخُ

حَبَّاتُ الْعُقَدَيْنِ .. انْفَرَطَتْ
مِنْ لَهْوٍ ، وَأَنْهَدَّ وَشَاحُ
فَاللَّحْمِ الْبَطْنُ ، يُمَزَّقُهُ
فِي الْعُتْمَةِ ، ظَفْرُ سَفَّاحٍ
وَجُزَاذَةٌ شَعْرٍ .. وَأَنْقَطَعَتْ
فَالصَّوْتُ الْمَهْمُوسُ نَبَاحُ
وَيُكَسِّرُ نَهْدُ وَقَعَهُ
وَيَثُورُ .. فَللْجُرْحِ جِرَاحُ
وَيَمُوتُ الْمَوْتُ .. وَيَسْتَلْقِي
مِمَّا عَانَاهُ الْمِضْبَاحُ

*

يَا أُخْتِي .. لَا .. لَا تَضْطَرِّبِي
إِنِّي لِكِ صَدْرٍ وَجَنَاحٍ

أتراني كُؤنتُ امرأةً
كي تمضغَ نهدي الأشباحُ ؟
أشدُّودُ ، أختاهُ ، إذا ما
لثَمَ التُّفَّاحَ التُّفَّاحُ ؟
نحنُ امرأتانِ .. لنا قِمَمٌ
ولنا أنواءٌ ورياحُ ..

*

مَطَرٌ .. مَطَرٌ .. وصديقتُها
مَعَهَا .. ولتشرينَ نُواحُ
والبابُ تئنُّ مفاصلُهُ
ويعرِّبُ فيه المِفْتَاحُ ..

البغية

١

عَلَّقَتْ فِي بَابِهَا قِنْدِيلَهَا
نَازِفَ الشَّرِيَانِ ، مُحَمَّرَ الْفَتِيلَةَ
فِي زَقَاقِ ضَوَّاتٍ أَوْكَارُهُ
كُلُّ بَيْتٍ فِيهِ ، مَأْسَاءٌ طَوِيلَهُ
غُرْفٌ .. ضَيْقَةٌ .. مَوْبُوعَةٌ
وَعَنَاوِينُ لِي (مَارِي) وَ (جَمِيلَةٌ)
وَبِمَقْهَى الْحَيِّ .. حَاكِ هَرَمٍ
رَاحَ يَجْتَرُّ أَعَانِيهِ الذَّلِيلَةَ

وَعَجُّوزٌ خَلْفَ نَرْجِيَّتِهَا
 عُمُرُهَا أَقْدَمُ مِنْ عُمُرِ الرَّذِيلَةِ
 إِنَّهَا أَمْرَةٌ الْبَيْتِ هُنَا ..
 تَشْتُمُ الْكَسْلَى ، وَتَسْتَرْضِي الْعَجُولَةَ
 وَأَمَامَ الْبَابِ .. صُعْلُوكٌ هَوَى
 تَافَهُ الْهَيْئَةُ ، مَسْلُوبُ الْفَضِيلَةِ
 يَعْرِضُ اللَّحْمَ عَلَى قَاضِمِيهِ ..
 مِثْلَمَا يَعْرِضُ سَمْسَارٌ خِيُولَهُ
 « هَذِهِ .. جَاءَتْ حَدِيثًا .. سَيِّدِي
 نَاهِدٌ مَا زَالَ فِي طُورِ الطُّفُولَةِ ..
 أَوْ إِذَا شِئْتَ .. فَرَافِقُ هَذِهِ
 إِنَّهَا أَشْهَى مِنَ الْخَمْرِ الْأَصِيلَةِ .. »
 أَيُّ رِقٍّ .. مِثْلَ أُنْثَى تَرْتَمِي
 تَحْتَ شَارِيهَا ، بِأَوْرَاقِ ضَيْلِهِ
 قِيمَةُ الْإِنْسَانِ . مَا أَحْقَرَهَا
 زَعْمُوهُ غَايَةً .. وَهُوَ وَسِيلَهُ ..

✽

لو تَرَى الرُّذَهَةَ فِيهَا اضْطَجَعَتْ
 كُلُّ بِنْتٍ كَانَتْ فَتَاحِ الزَّهْرَةَ
 نَهْدُهَا مَنظَرٌ جَزَّارُهُ
 صَابِرٌ حَتَّى يُلَاقِي قَدْرَهُ
 هَذِهِ الْمَذْهَبَةُ السِّنِّ .. هُنَا
 تَرْقُبُ الْبَابَ بِعَيْنِ حَازِرَةٍ
 حَسَرَتْ عَنْ رُكْبَةٍ شَاحِبَةٍ
 لَوْنُهَا لَوْنُ الْحَيَاةِ الْمُنْكَرَةِ
 مَنْ سِيَائِي ؟ مَنْ سِيَائِي مَعَهَا ؟
 أَيُّ صُعْلُوكٍ . حَقِيرٍ ، نَكِيرَةٍ ؟
 وَهِنَاكَ .. انْفَرَدْتُ وَاحِدَةٌ
 عَطْرُهَا أَرْخَصُ مِنْ أَنْ أذْكَرَهُ ..
 حَاجِبٌ يُبْلَغُ فِي تَخْطِيطِهِ
 وَطَّلَاةٌ كَجِدَارِ الْمَقْبَرَةِ ..
 وَفَمٌ .. مُتَّسِعٌ .. مُتَّسِعٌ
 كَفَلَاةٍ التَّيْنَةِ الْمُعْتَصِرَةِ

الْفُضُولِيُّونَ مِنْ خَلْفِ الْكُؤَى
أَعْيُنٌ ، جَائِعَةٌ مُسْتَعِرَةٌ
وَشَجَارٌ دَائِرٌ فِي مَنْزِلِ
وَسُكَّارَى .. وَنَكَاتٌ قَدِرَةٌ ..
مَنْ رَأَاهُنَّ .. قَوَارِيرَ الْهُوَى
كَعَجَاجٍ بَانْتِظَارِ الْمَجْزَرَةِ
كَمْ صَبَايَا ، مِثْلَ أَلْوَانِ الضُّحَى
أَفْسَدَتْهُنَّ عَجُوزٌ خَطِرَةٌ

٣

هَذِهِ الْمَجْدُورَةُ الْوَجْهَ انْزَوَتْ
كُوبَاءٌ .. كَبْعِيرٍ نَتِينِ
أَخْرَجَتْ سَاقًا لَهَا مَعْرُوقَةً
مِثْلَ مَيِّتٍ خَارِجٍ مِنْ كَفْنٍ ..
حَفَرٌ فِي وَجْهَهَا مُرْعِبَةٌ
تَرَكَتْهَا عَجَلَاتُ الزَّمَنِ ..
نَهْدُهَا حَبَّةٌ تَيْنٌ .. نَشِفَتْ
رَحِمَ اللَّهِ زَمَانَ اللَّبَنِ ..

فالعصافيرُ التي كانت هُنَا
تتغذى بالشذا والسوسنِ
كلُّها طارتُ بعيداً .. عندما
لم يعدْ في الأرض غيرُ الدمنِ
إنها الخمسونَ .. ماذا بعدها ؟
غيرُ أمطارِ الشتاءِ المحزنِ
إنها الخمسونَ .. ماذا ظلَّ لي ؟
غيرُ هذا الوحلِ ، هذا العفنِ
غيرُ هذي الكأسِ أستهلكها
غيرُ هذا التبغِ يستهلكني
غيرُ تاريخِ مدمي .. حيثما
سرتُ ، ألقى ظلُّه يتبعني
غيرُ أقدامِ الخطايا .. رجعتُ
تُحرقُ الغرفةَ بي .. تُحرقني
غيرُ ربِّ .. كنتُ لا أعرفه
وأراه الآنَ .. لا يعرفني ..

يا لُصُوصَ اللحم .. يا تُجَّارَهُ
 هكذا لحمُ السَّبَايا يُوكَلُّ
 منذُ أَنْ كانَ على الأرضِ الهوى
 أنتمُ الذئبُ .. ونحنُ الحَمَلُ
 نحنُ الآتُ هوىً مُجَهَّدةُ
 تَفَعَلُ الحُبَّ ، ولا تَنفَعِلُ ..
 أنبُشُوا في جُثَثِ فاسِدةِ
 سارقُ الأكفانِ لا يَخْتَجِلُ
 وارْقُصُوا فوقَ نَهْودِ صُلبَتِ
 ماتَ فيها النورُ .. ماتَ المُخَمَلُ
 من أنا ؟ إحدى خطاياكمُ أنا
 نَعْجَةٌ في دَمِكمُ تفتَسِلُ
 أَشْتَهِي الأُسْرَةَ والطفلَ .. وأن
 يحتويني ، مثلَ غيري ، مَنْزِلُ

أَرْجُمُونِي .. سَدِّدُوا أَحْجَارَكُمْ
كُلَّكُمْ يَوْمَ سَقُوطِي بَطْلُ
يَا قُضَاتِي ، يَا رُمَاتِي ، إِنَّكُمْ
إِنَّكُمْ أَجَبَنُ مِنْ أَنْ تَعْدِلُوا ..
لَنْ تُخِيفُونِي فِي شُرْعَتِكُمْ
يُنْصَرُ الْبَاغِي ، وَيُرْمَى الْأَعْزَلُ
تَسْأَلُ الْأُنْثَى إِذَا تَزَنَّى .. وَكَمْ
مُجْرِمٍ دَامِيَ الزَّيْنَا .. لَا يُسْأَلُ
وَسْرِيرٌ وَاحِدٌ .. ضَمَّهُمَا
تَسْقُطُ الْبَيْتُ ، وَيُحْمَى الرَّجُلُ ..

الحُبُّ وَالْبَتْرُول

متى تَفْهَمُ ؟
متى يا سَيِّدِي تَفْهَمُ ؟
بأنِّي لستُ واحِدةً ..
كغيري . من صديقَاتِكَ
ولا فَتْحاً نِسَائِيًّا ..
يُضَافُ إلى فُتُوحَاتِكَ
ولا رَقَمًا من الأرقام يعْبُرُ في سِجِلَاتِكَ ..
متى تَفْهَمُ ؟

متى تفهم ؟
أيا جملاً من الصحراء لم يلجم ..
ويا من يأكل الجدرى منك الوجه والمعصم
بأنني لن أكون هنا ..
رماداً في سجاتك
ورأساً ، بين آلاف الرؤوس ، على مخداتك
وتمثالاً تزيد عليه ، في حمى مزاداتك
ونهداً فوق مرمره ..
تسجل شكل بصماتك ..
متى تفهم ؟

*

متى تَفْهَمُ ؟
 بَأَنَّكَ لَنْ تُخَدِّرَنِي بِجَاهِكَ أَوْ إِمَارَاتِكَ
 وَلَنْ تَتَمَلَّكَ الدُّنْيَا .. بِنَفْطِكَ وَامْتِيَازَاتِكَ
 وَبِالْبِتْرُولِ يَعْْبَقُ مِنْ عَبَاءَاتِكَ ..
 وَبِالْعَرَبَاتِ .. تَطْرَحُهَا عَلَى قَدَمِي عَشِيقَاتِكَ
 بِلَا عَدَدٍ .. فَأَيْنَ ظُهُورُ نَاقَاتِكَ ؟
 وَأَيْنَ الْوَشْمُ فَوْقَ يَدَيْكَ ، أَيْنَ ثُقُوبُ خَيْمَاتِكَ ؟
 أَيَا مُتَشَقِّقِ الْقَدَمَيْنِ .. يَا عَبْدَ انْفِعَالَاتِكَ
 وَيَا مَنْ صَارَتِ الزَّوْجَاتُ بَعْضًا مِنْ هَوَايَاتِكَ
 تُكَدِّسُهُنَّ بِالْعَشْرَاتِ .. فَوْقَ فِرَاشِ لَدَاتِكَ
 تُحَنِّطُهُنَّ كَالْحَشْرَاتِ .. فِي جِدْرَانِ صَلَاتِكَ
 متى تَفْهَمُ ؟

متى يا أيها المتخَم؟
متى تفهم؟
بأني لست من تهتم ..
بنارك أو بجناتك ..
وأن كرامتي أكرم ..
من الذهب المقدس بين راحاتك
وأن مناخ أفكارى غريب عن مناخاتك
أيا من فرخ الإقطاع في ذرات ذراتك
ويا من تنجّل الصحراء حتى من مناداتك ..
متى تفهم؟

تَمَرَّغٌ .. يا أَمِيرَ النِّفْطِ ، فَوْقَ وُحُولِ لَذَائِكَ
كَمَمَسْحَةٍ .. تَمَرَّغٌ فِي ضَلَالَاتِكَ
لَكَ البَتْرُولُ .. فاعْضُرُهُ
عَلَى قَدَمِي خَلِيلَاتِكَ
كُهُوفُ اللَّيْلِ فِي بَارِيسَ .. قَدْ قَتَلْتَ مُرُوءَاتِكَ
عَلَى أَقْدَامِ مُومِسَةَ هُنَاكَ ..
دَفَنْتَ ثَارَاتِكَ ..

فَبِعْتَ القُدُسَ .. بِعْتَ اللهَ .. بِعْتَ رَمَادَ أَمْوَاتِكَ
كَأَنَّ حَرَابَ إِسْرَائِيلَ لَمْ تُجْهَضْ شَقِيقَاتِكَ
وَلَمْ تَهْدَمْ مَنَازِلَنَا
وَلَمْ تُحْرِقْ مَصَاحِفَنَا
وَلَا رَايَاتُهَا ارْتَفَعَتْ عَلَى أَشْلَاءِ رَايَاتِكَ ..

كَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ صَلَبُوا ..

عَلَى الْأَشْجَارِ فِي يَافَا ..

وَفِي حَيْفَا ..

وَبَثْرِ السَّبْعِ .. لَيْسُوا مِنْ سُلَالَتِكَ

تَغْوِصُ الْقُدْسُ فِي دَمِهَا

وَأَنْتَ صَرِيحُ شَهْوَاتِكَ

تَنَامُ .. كَأَنَّهَا الْمَأْسَاءُ لَيْسَتْ بَعْضَ مَأْسَاتِكَ

مَتَى تَفْهَمُ ؟

مَتَى يَسْتَيْقِظُ الْإِنْسَانُ فِي ذَاتِكَ ؟

خمس رسائل الى أمي

١

صَبَّاحَ الْخَيْرِ .. يَا حُلُوءَ ..
صَبَّاحَ الْخَيْرِ .. يَا قَدِيسِي الْحُلُوءَ
مَضَى عَامَانِ يَا أُمِّي
عَلَى الْوَلَدِ الَّذِي أَبْحَرَ
بِرِحْلَتِهِ الْخُرَافِيَّةَ
وَحَبَّأَ فِي حَقَائِبِهِ ..
صَبَّاحَ بِلَادِهِ الْأَخْضَرَ
وَأَنْجُمَهَا ، وَأَنْهَرَهَا ، وَكُلَّ شَقِيقِهَا الْأَحْمَرَ
وَحَبَّأَ فِي مَلَابِسِهِ
طَرَابِينًا مِنَ النَّعْنَاعِ وَالزَّرْعَتَرِ
وَلَيْلَكَةَ دِمَشْقِيَّةَ ..

أنا وحدي ..
 دخانُ سجائري يَضَجِرُ
 ومنِّي مقعدي يَضَجِرُ
 وأحزاني عَصافيرُ ..
 تَفْتَشُ - بَعْدُ - عن بَيْدَرُ
 عَرَفْتُ نساءَ أوروْبَا ..
 عَرَفْتُ عواطفَ الأسمِنْتِ والخَشَبِ
 عَرَفْتُ حَضَارَةَ التَّعَبِ ..
 وطُفْتُ الهِنْدَ ، طُفْتُ السِّنْدَ ، طُفْتُ العَالَمَ الأَصْفَرَ
 ولم أَعَثِرُ ..
 على امرأةٍ تُمَشِّطُ شَعْرِي الأَشْقَرَ

وتحملُ في حقيبتها ..
إليَّ عَرَائِسَ السُّكَّرِ
وتكسُوني إذا أَعْرَى
وتَنشُلُنِي إذا أَعَثَّرُ
أيا أمِّي ..
أيا أمِّي ..
أنا الولدُ الذي أَبْحَرَ
ولا زالتُ بِخاطرِهِ ..
تَعِيشُ عَرُوسَةَ السُّكَّرِ
فكيفَ .. فكيفَ يا أمِّي
غَدوتُ أباً ..
ولم أَكْبُرُ ..

صَبَّاحَ الْخَيْرِ ، مِنْ مَدْرِيدَ
 مَا أَخْبَارُهَا الْفُلَّةُ ؟
 بِهَا أُوصِيكَ يَا أُمَّهُ ..
 تِلْكَ الطِّفْلَةَ الطِّفْلَةَ
 فَقَدْ كَانَتْ أَحَبَّ حَبِيْبَةٍ لِأَبِي ..
 يُدَلِّلُهَا بِكَفْلَتِهِ
 وَيَدْعُوهَا إِلَى فَنْجَانِ قَهْوَتِهِ
 وَيَسْقِيهَا ..
 وَيُطْعِمُهَا ..
 وَيَغْمُرُهَا بِرَحْمَتِهِ ..

.. وماتَ أبي ..
ولا زالتُ تعيشُ بحُلْمِ عَوْدَتِهِ
وتبحثُ عنه في أرجاءِ غُرْفَتِهِ
وتسألُ عن عِبَاءَتِهِ ..
وتسألُ عن جَرِيدَتِهِ ..
وتسألُ - حين يأتِي الصيفُ -
عن فيروزِ عَيْنِيهِ ..
لتشرَ فوقَ كَفِّيهِ ..
دنانيراً من الذهبِ ..

*

سلاماتٌ .

سلاماتٌ .

إلى بيتِ سقانا الحُبِّ والرَّحْمَةِ

إلى أزهاركِ البيضاء .. فَرَحَةٍ (ساحةِ النَجْمَةِ)

إلى تَخْتِي ..

إلى كُتُبِي ..

إلى أطفالِ حَارَتِنَا ..

وحيطانِ مَلَأْنَاهَا ..

بفَوْضَى من كِتَابَتِنَا ..

إلى قَطَطٍ كَسُولَاتٍ

تَنَامُ عَلَى مَشَارِقِنَا

وَلَيْلِكَ مِعْرَشَةٍ

عَلَى شُبَّاكٍ جَارَتِنَا

مَضَى عَامَانِ .. يَا أُمَّي

وَوَجْهَهُ دَمَشْقَ ،

عُصْفُورٌ يُخَرِّبُشُ فِي جَوَانِحِنَا

يَعُضُّ عَلَى سَتَائِرِنَا ..

وَيَنْقُرُنَا ..

بِرَفْقٍ مِنْ أَصَابِعِنَا ..

مضى عَامَانِ .. يا أُمِّي
وَلَيْلُ دِمَشقَ
فُلُ دِمَشقَ
دُورُ دِمَشقَ
تَسْكُنُ فِي خِوَابِرِنَا
مَآذِنَهَا .. تُضِيءُ عَلَي مَرَآكِبِنَا
كَأَنَّ مَآذِنَ الْأُمويِّ ..
قَدْ زُرَعَتْ بِدَاخِلِنَا ..
كَأَنَّ مَشَاتِلَ التُّفَّاحِ ..
تَعْبَقُ فِي ضَمَائِرِنَا
كَأَنَّ الضَّوْءَ ، وَالْأَحْجَارَ
جَاءَتْ كُلُّهَا مَعَنَا ..

أَتَى أَيْلُولُ أُمَّهُ ..
وجاء الحزنُ يحملُ لي هَدَايَاهُ
ويتركُ عندِ نافذتي
مدامعَهُ وشكواهُ
أَتَى أَيْلُولُ .. أينَ دمشقُ ؟
أينَ أبي وعَيْنَاهُ
وأينَ حريرُ نظرتِهِ ؟
وأينَ عبيرُ قهوتِهِ ؟
سَقَى الرحمنُ مثواهُ .

وَأَيْنَ رَحَابُ مَنْزِلِنَا الْكَبِيرِ ..
وَأَيْنَ نِعْمَاهُ ؟
وَأَيْنَ مَدَارِجُ الشَّمَشِيرِ ..
تَضْحَكُ فِي زَوَايَاهُ
وَأَيْنَ طُفُولِي فِيهِ ؟
أَجْرَجِرُ ذَيْلَ قِطَّتِهِ
وَأَكُلُ مِنْ عَرِيشَتِهِ
وَأَقْطِفُ مِنْ (بَنْفَشَاهُ) .

دمشقُ . دمشقُ .

يا شِعْراً

على حَدَقَاتِ أَعْيُنِنَا كَتَبْنَاهُ

ويا طفلاً جميلاً ..

من ضَفَائِرِهِ صَلْبِنَاهُ

جَثُونًا عِنْدَ رُكْبَتِهِ ..

وَذُبْنَا فِي مَحَبَّتِهِ

إِلَى أَنْ فِي مَحَبَّتِنَا قَتَلْنَاهُ ..

أبي

أَمَاتَ أَبُوكَ ؟
ضَلَّالٌ ! أَنَا لَا يَمُوتُ أَبِي .
فِي الْبَيْتِ مِنْهُ
رَوَائِحُ رَبِّ .. وَذَكَرَى نَبِي
هُنَا رُكْنُهُ .. تِلْكَ أَشْيَاؤُهُ
تَفَتَّقُ عَنْ أَلْفِ غُصْنٍ صَبِي
جَرِيدَتُهُ . تَبَغَّهُ . مَتَّكَاهُ
كَأَنَّ أَبِي - بَعْدَ - لَمْ يَذْهَبِ ..

وَصَحْنُ الرَّمَادِ .. وَفَنَجَانُهُ
 عَلَى حَالِهِ .. بَعْدُ لَمْ يُشْرَبِ
 وَنَظَّارَتَاهُ .. أَيَسَلُّو الزُّجَاجُ
 عَيْوناً أَشَفَّ مِنَ الْمَغْرَبِ ؟
 بَقَايَاهُ ، فِي الْحُجْرَاتِ الْفِسَاحِ
 بَقَايَا النُّسُورِ عَلَى الْمَلْعَبِ
 أَجُولُ الزَّوَايَا عَلَيْهِ ، فَحَيْثُ
 أَمْرٌ .. أَمْرٌ عَلَى مُعْشَبِ
 أَشَدُّ يَدِيهِ .. أَمِيلُ عَلَيْهِ
 أَصْلِي عَلَى صَدْرِهِ الْمُتَعَبِ
 أَبِي .. لَمْ يَزَلْ بَيْنَنَا ، وَالْحَدِيثُ
 حَدِيثُ الْكُؤُوسِ عَلَى الْمَشْرَبِ
 يَسَامِرُنَا .. فَالِدَوَالِي الْحَبَالِي
 تَوَالِدُ مِنْ ثَغْرِهِ الطَّيِّبِ ..
 أَبِي خَبْرًا كَانَ مِنْ جَنَّةِ
 وَمَعْنَى مِنَ الْأَرْحَبِ الْأَرْحَبِ ..

وَعَيْنَا أَبِي .. مَلْجَأٌ لِلنُّجُومِ
فَهَلْ يَذْكَرُ الشَّرْقُ عَيْنِي أَبِي ؟
بِذَاكَ الصِّيفِ مِنَ الْوَالِدِي
كَرُومٌ ، وَذَاكَ الكُوكَبِ ..

*

أَبِي يَا أَبِي .. إِنَّ تَارِيخَ طَيْبِ
وَرَاءِكَ يَمْشِي ، فَلَا تَعْتَبِ ..
عَلَى اسْمِكَ نَمْضِي ، فَمَنْ طَيْبِ
شَهِيٍّ الْمَجَانِي ، إِلَى أَطْيَبِ
حَمَلْتُكَ فِي صَحْوِ عَيْنِي .. حَتَّى
تَهَيَّأَ لِلنَّاسِ أَنِّي أَبِي ..
أَشِيْلُكَ حَتَّى بِنْبَرَةَ صَوْتِي
فَكَيْفَ ذَهَبْتَ .. وَلَا زَلْتِ بِي ؟

*

إِذَا فُلَّةُ الدَّارِ أَعْطَتْ لَدِينَا
فِي الْبَيْتِ أَلْفُ فَمِ مُذْهَبِ
فَتَحْنَا لَمْؤُوزَ أَبْوَابِنَا
فِي الصِّيفِ لَا بُدَّ يَأْتِي أَبِي ..

لو كنت في مدرّيد..

لو كنت في مدرّيد في رأسِ السنّه
كُنّا سَهْرُنا وِحدنا
في حانّةِ صغیره
ليس بها سوانا
تبحثُ في ظلامها عن بعضها يدانا ..
كُنّا شربنا الخمرَ في أوعیهِ من الخشبِ
كُنّا اخترَعنا - رُبّما - جزیره
أحجارها من الذهبِ
أشجارها من الذهبِ
تُوجينَ فوقها أميره ..

*

لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السَنَةِ
كُنَّا رأينا كيفَ في إسبانيا ..
أَيَّتْهَا الصديقةُ الأثيرَةُ
تَشْتَعِلُ الحرائقُ الكَبيْرَةَ
في الأعيُنِ الكَبيْرَةَ
كيف تنامُ الوردَةُ الحمراءُ في الضفيرةِ
كُنَّا عرفنا لذةَ الضياعِ في الشوارعِ
وجوهنا تحتَ المَطَرِ ..
ثيابنا تحتَ المَطَرِ
كُنَّا رأينا في مغاراتِ العَجَرِ
كيف يكونُ الهَمْسُ بالأصابعِ
والبَوْحُ ، والعتابُ ، بالأصابعِ
وكيف للحُبِّ هُنَا ..
طَعْمُ البَهَارِ اللاذعِ ..

لو كُنتِ في مدريدَ في رأسِ السَّنةِ
كُنَّا ذَهَبْنَا آخَرَ اللَّيْلِ إِلَى الكَنِيسَةِ
كُنَّا حَمَلْنَا شَمْعَنَا .. وَزَيْتَنَا
لِسَيِّدِ السَّلَامِ وَالْمَحَبَّةِ
كُنَّا شَكُونَا حَزَنًا إِلَيْهِ
كُنَّا أَرْحَنًا رَأْسَنَا لَدَيْهِ
لَعَلَّهُ فِي السَّنةِ الجَدِيدَةِ
أَيَّتْهَا الحَبِيبَةُ البَعِيدَةُ
يَجْمَعُنِي إِلَيْكَ بَعْدَ غُرْبَةٍ
فِي مَنْزِلٍ ، جُدْرَانُهُ مُحَبَّةٌ
وخبزُهُ مُحَبَّةٌ ..

لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السنَّةِ
كُنَّا ملأنا المدخنةَ
عرائساً مُلَوَّنةً ..
لطفلةٍ دافئةِ العيونِ
نعيشُ يا حبيبتِي بوهمِها ..
من قبل أن تَكُونِ ..
نبحثُ يا حبيبتِي عن اسمِها
من قبل أن تَكُونِ ..
كُنَّا صَنَعْنَا تَخْتَهَا الصغيرَ من ظُنُونِ
تَخْتًا من الأحلامِ .. والقטיפَةِ الملَوَّنةِ
تَنَامُ فِيهِ - رُبَّمَا - بعدَ سنَّةٍ ..
لو كنتِ في مدريدَ في رأسِ السنَّةِ

غرناطة

١ في مَدْخَلِ (الحَمْرَاءِ) .. كَانَ لِقَاؤُنَا
٢ مَا أَطْيَبَ اللُّقْيَا بِلا مِيعَادِ
٣ عَيْنَانِ سَوْدَاوَانِ .. فِي حَجْرَيْهِمَا
تَتَوَالِدُ الأَبْعَادُ مِنْ أبعَادِ ..
هل أَنْتِ إِسْبَانِيَّةٌ ؟ سَاءَ لُتْهَا
قالتُ : وَفِي غَرْنَاطَةِ مِيلَادِي

غَرْنَاطَةٌ ! وَصَحَتْ قُرُونٌ سَبْعَةٌ
فِي تَيْنِكَ الْعَيْنَيْنِ .. بَعْدَ رُقَادِ
وَأُمِّيَّةُ رَايَاتُهَا مَرْفُوعَةٌ
وَجِيَادُهَا مَوْصُولَةٌ بِجِيَادِ
مَا أَغْرَبَ التَّارِيخَ .. كَيْفَ أَعَادَتِي
لِحَفِيدَةِ سَمْرَاءَ .. مِنْ أَحْفَادِي
وَجَهْدُ دَمَشْقِي ، رَأَيْتُ خِلَالَهُ
أَجْفَانَ بَلْقَيْسِ ، وَجَيْدَ سَعَادِ
وَرَأَيْتُ مَنْزَلَنَا الْقَدِيمَ ، وَحُجْرَةَ
كَانَتْ بِهَا أُمِّي تَمُدُّ وَسَادِي
وَالْيَاسْمِينَةَ رُصِّعَتُ بِنَجُومِهَا
وَالْبُرْكَةَ الذَّهَبِيَّةَ الْإِنْشَادِ ..

*

١٠ ودمشق . أين تكون ؟ قلتُ ترينها
١١ في شعركِ المنسابِ .. نهرَ سوادِ
في وجهكِ العربيِّ ، في الثغر الذي
ما زال مُختزناً شُموسَ بلادِي
١٢ في طيب (جناتِ العريفِ) ، ومائها
في الفلِّ ، في الریحانِ ، في الكبَّادِ

*

١٣ سارتُ معي .. والشعرُ يلهثُ خلفها
كسنابلٍ تُركتُ بغيرِ حصّادِ ..
١٤ يتألّقُ القرطُ الطويلُ بجيدها
مثلَ الشموعِ بلبلةِ الميلادِ ..
١ ومشيّتُ مثلَ الطفلِ خلفِ دليّتي
وورائيَ التاريخُ كَومٍ رَمادِ

١٦ الزَّخْرَفَاتُ .. أَكَادُ أَسْمَعُ نَبْضَهَا
وَالزَّرَكَشَاتُ .. عَلَى السُّقُوفِ تُنَادِي
١٧ قَالَتْ : هُنَا (الحمراء) .. زَهُوْ جُدودنا
فَاقْرَأْ عَلَى جُدْرَانِهَا أَمْجَادِي
١٨ أَمْجَادُهَا !! وَمَسَحَتْ جُرْحًا نَازِفًا
وَمَسَحَتْ جُرْحًا ثَانِيًا بِفُؤَادِي
١٩ يَا لَيْتَ وَارِثِي الْجَمِيلَةَ .. أَذْرَكَتُ
أَنَّ الَّذِينَ عَنَتَهُمْ أَجْدَادِي ..

*

عَانَقْتُ فِيهَا عِنْدَمَا وَدَّعْتُهَا
رَجُلًا .. يُسَمَّى (طَارِقَ بِنِ زِيَادِ) ..

خبز وحشيش وقمر

عندما يُولَدُ في الشرق القمرُ
فالسُّطُوحُ البيضُ تغفُو ..
تحتَ أكُدَّاسِ الزَّهَرِ
يتركُ النَّاسُ الحَوَانِيَتَ .. ويمضُونَ زُمُرُ
لمُلاقاةِ القَمَرِ ..
يحملونَ الخُبْزَ ، والحَاكِي ، إلى رأسِ الجِبَالِ
ومُعِدَّاتِ الخَدَرِ ..
ويبيعونَ ، ويشرونَ .. خَيَالُ
وصُورُ ..
ويموتُونَ إذا عاشَ القَمَرُ ..

∴

ما الذي يفعله قُرْصُ ضِيَاءٍ ؟
بيلادي ..

ببلادِ الأنبياءِ ..

وببلادِ البُسَطَاءِ ..

ماضِي التبع ، وتُجَارِ الخَدَرُ
ما الذي يفعله فِينَا القَمَرُ ؟

فُنْضِيعُ الكبرياءِ

ونعيشُ لِنَسْتَجِدِي السماءَ

ما الذي عندَ السماءِ ؟

لِكُسَالِي ضُعَفَاءِ

يستحيلونَ إلى موتي ..

إذا عاشَ القَمَرُ ..

ويَهْزُونَ قُبُورَ الْأَوْلِيَاءِ
عَلَّهَا ..

تُرْزِقُهُمْ رُزْأً وَأَطْفَالاً ..
قُبُورُ الْأَوْلِيَاءِ ..

وَيَمْدُونَ السَّجَائِدَ الْأَنْيَقَاتِ الطَّرَرُ
يَتَسَلُّونَ بِأَفْيُونٍ ..
نُسَمِّيهِ قَدْرٌ ..
وقضاء ..

في بلادِي ..
في بلادِ البُسْطَاءِ ..

*

أيُّ ضعفٍ وانحلالٍ ؟
 يتولّانا إذا الضوءُ تدفَّقُ
 فالسجاجيدُ ، وآلافُ السِّلالِ
 وقداحُ الشاي .. والأطفالُ .. تحتلُّ التلالُ
 في بلادي ..
 حيث يبكي الساذجونُ
 ويعيشونَ على الضوء الذي لا يُبصرونُ
 في بلادي ..
 حيث يحيا الناسُ من دونَ عيونِ

حيثُ يبكي الساذجونُ
ويُصلُّونَ ، ويَزُنُونُ ، ويحيونَ اتِّكَالُ
منذُ أن كانوا .. يعيشونَ اتِّكَالُ
ويُنَادُونَ الهَلَالَ :

« يا هَلَالَ ..

أَيُّهَا النَّبْعُ الَّذِي يُمَطِّرُ مَاسَ

وحشيشاً .. ونُعَاشَ

أَيُّهَا الرَّبُّ الرَّخَامِيُّ الْمُعَلَّقُ

أَيُّهَا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ يُصَدِّقُ

دُمْتَ لِلشَّرْقِ .. لَنَا ..

عُنُقُودَ مَاسَ

للملايينِ التي قد عَطَّطَتْ فِيهَا الحَوَاسِ .

*

في ليالي الشرق .. لَمَّا
 يبلغُ البدرُ تمامه ..
 يتعرَّى الشرقُ من كُـلِّ كرامه
 ونضال ..
 فالملايينُ التي تركضُ من غيرِ نعالٍ ..
 والتي تُؤمنُ في أربعِ زُوجاتٍ ..
 وفي يومِ القِيَامه ..
 الملايينُ التي لا تلتقي بالخبزِ .. إلا في الخيالِ
 والتي تسكنُ في الليلِ بُيوتاً من سُعالٍ ..
 أبداً .. ما عرَفتُ شكلَ الدَوَاءِ ..
 تتردَّى ..
 جُثثاً تحتَ الضيَاءِ ..

في بلادي ..
حيثُ يبكي الساذجونُ
وَيَمُوتُونَ بُكَاءَ
كَلِّمَا طَالَعَهُمْ وَجْهُ الْهَلَالِ
ويزيدونَ بُكَاءَ
كَلِّمَا حَرَكَتَهُمْ عُوْدُ ذَلِيلٍ .. و« ليالي » ..
ذلك الموتُ الذي ندعوهُ في الشَّرْقِ ..
« ليالي » .. وِغْنَاءَ
في بلادي ..
في بلادِ البُسَطَاءِ ..

حيث نَجْتَرُ التواشيحَ الطويلَةَ ..
ذلك السُّلُّ الذي يفتكُ بالشرقِ ..

التواشيحُ الطويلَةَ
شَرَقْنَا المَجْتَرُ .. تاريخاً .. وأحلاماً كَسُولَهُ
وخرافاتٍ خَوَالِي ..
شَرَقْنَا ، الباحثُ عن كُلِّ بُطُولَةٍ
في (أبي زيدِ الهلالي) ..

فهرس

الصفحة	القصيدة
١٣	إختاري
١٦	رسالة من تحت الماء
١٩	نهر الأخران
٢٣	شؤون صغيرة
٣٢	طوق الياسمين
٣٦	قصيدة الحزن
٤٤	قارئة الفنجان
٤٨	صديقتي وسجائري
٥١	إلى تلميذة
٥٤	لوليتا
٦٠	الرسم بالكلمات
٦٤	رسالة إلى رجل ما
٧٠	رسالة من سيدة حاقدة
٧٥	حبلى
٧٩	أوعية الصيد

الصفحة	القصيدة
٨٣	إلى قديسة
٨٧	إلى أجيرة
٩٠	لن تطفني مجدي
٩٤	إلى نهدين مغرورين
٩٧	الخرافة
٩٨	القصيدة المتوحشة
١٠٥	نهدالك
١٠٩	القصيدة الشريرة
١١٣	البنغي
١٢٠	الحب والبتول
١٢٦	خمسة رسائل إلى أمي
١٣٧	أبي
١٤٠	لو كنت في مدريد
١٤٤	غرناطة
١٤٨	خبز وحشيش وقمر

منشورات نزار فتبايني
بيروت - لبنان
ص ٦٢٥.

منشورات نزار قباني
ص.ب ٦٢٥٠
بيروت

